

مصر في ضمير الراحلين

الناشر
مكتبة الخانجي بالقاهرة

دكتور عاطف أحمد فؤاد
أستاذ علم الاجتماع المساعد
كلية الدراسات الإنسانية ـ جامعة الأزهر

مصر في ضمير الراحلين

الناشر
مكتبة الخانجي بالقاهرة

رقم الإيداع ٤٣٧٢ / ١٩٨١

مطبعة المدني

المؤسسة السعودية بمصر

٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت ٨٢٦١٨٥١

إهـــــداء

إلى إلهـــــام عقلى

* * *

إلى الغالية رضوى والحبيب أحمد
وإلى الحذرة ... العاقلة زوجتى
تقديرا وعرفاناً

* * *

كلمة

طال زمن الاعتراف بها

لمصر عشاقها ... والمتيمون بها ... والعاملون فى صمت من أجلها ... هو واحد من هؤلاء العشاق ... ولكنه أبداً ما كان عاشقاً فى صمت ... أو متيماً يلعق جراحه وهو غارق فى خيالات أطياف الحبيب ... فى حوار دائم معه ... بالعقل والقلب معاً ... يغار عليه من عبث العابثين ... وغفلة الجهلة والمتعالين ... فإلى من علمنى كيف أعشق مصر ... وكيف أفكر من أجل مصر ... فإلى الراهب ... العاشق ... إلى الحبيب الغالى ... إلى خالى (**العربى**) ... حباً وتقديراً .

عاطف

هذا المؤلَّف

(١)

لا يدَّعى هذا العمل مزية ليست له ... أو خاصية تتعارض وطبيعته أو سمة تتجاوز هويته ... فهذا العمل ليس رواية أو قصة بمنطق الفن الدرامى القصصى ... كما أنه من العسير النظر إليه باعتباره عملاً دراميًا مسرحيًا بمعايير الفن الدرامى المسرحى ... فهو ما كان هذا ولا ذاك رغم غلبة الطبيعة الحوارية عليه ، وسيادة روح الدراما فيه ، الأمر الذى قد يغرى بعض نقاد الدراما إلى تصنيفه باعتباره رواية أو دراما علمية ... وهو أمر – كما أكدنا – لا نجزم به ... فنحن ما كنا روائيين أو كتاباً للدراماً ... ولكننا من المؤكد قد شُغفنا **بالقالب** واستولى على خاطرنا **الشكل** .

فنصيبنا من الدراما – إذن – هو القالب أو الشكل ، محاولين من خلاله أن نقدم محاولة **غير مألوفة لتجاوز تقليدية البحث فى علم الاجتماع السياسى** ... الأمر الذى نتوقع معه خلافاً فى الرأى بين المتخصصين فى هذا العلم ... حول قيمة هذا العمل ... ومدى شرعية إنتمائه ... ومن ثم إنتماء صاحبه إلى مجتمع البحث فى سسيولوجيا السياسة .

ولكن ما نعلمه على وجه اليقين أن هذا العمل محاولة غير مسبوقة – وقد لا يعنى هذا تميزاً لصاحبها – ورؤية قد تكشف عن **تمرد** على المألوف فى منهج البحث فى هذا العلم ... وهذا التمرد قد يعنى لدى

البعض عصياناً أو انحرافاً عن منظومة القيم العلمية الخاصة بهذا النسق المعرفى ، أعنى علم الاجتماع السياسى ... بينما قد يرى فيه البعض الآخر **وثبة راديكالية** لتطوير البناء المعرفى والمنهجى لهذا العلم ، وذلك إنطلاقاً من إيمان هذا البعض بأن كل محاولات تطوير العلم – أى علم – تبدأ منذ اللحظة التى يتمرد فيها البعض أو يثور على جمود التقليدية وعقم الكلاسيكية .

وأيًا كان الرأى فى العمل الراهن ... فلسوف نحتكم إلى القارىء ، المتخصص منه وغير المتخصص ... فليحكم له أو يحكم عليه ، وحسبنا أننا حاولنا ... ولنحاول جميعاً إن أردنا للعلم تطويراً ... وللمعرفة نمواً ... ولحركة الابداع تقدماً .

وهذا العمل نتاج لتفاعل عنصر الخيال بموضوعية المنطق العلمى ، وهو محاولة تمتزج فيها رؤية الباحث بإلهاميات الأديب والفنان ... فهو فكر ... فى صورة خيال ... هو تدبر لماضى ولىَّ ... وحاضر معاش ، هو حساب لعهود **أظلمت** فيها الدنيا على مصر أحياناً ، وأضاءت **بنورها** أحيانا أخرى .

فعملنا الراهن هو تأمل لواقع مصر بعين الحب ... أملاً فى مستقبل أفضل ... وتخيلاً لمجتمع – لا نقول أمثل – بل مجتمع يرى فى الإنسانية هدفاً ... وفى إعلاء شأن الانسان مبدأ ... فكانت تلك الرؤى ... وهذه النظرات ... التى قد تكون لنا ... أو لمن قدر لخيالنا أن يستحضرهم ... فيبعثهم من مرقدهم ... **لكى يتدبروا أمر مصر** ...

وهم حكامها وزعماؤها ومفكروها ... الذين تولوا أمرها بالحكم أو بالزعامة أو بالفكر .

فهذه رسالة من العالم الآخر ... من أجل مصر ... لعل **الأحياء يدركون** ، وهى ليست **كرسالة الغفران أو كوميديا دانتى الإلهية** ، . ولكنها فكر فى قالب من الحب .. وما بين الفكر والحب كانت تلك الرسالة التى بدأت فى أولها بحساب وعتاب ومحاكمة يقيمها حكام مصر وزعماؤها ومفكروها بعضهم للبعض الآخر فى عالم **التجرد والخلود** .

لذلك فإن درامتنا – إن صح أنها دراما – تجمع بين عديد من الأضداد ، فهى تجمع بين شخصيات باعد بينها الزمان ، وجمع بينها هيمنتها على قدر الإنسان المصرى وتحكمها فى مصائره ، شخصيات ميز بينها إختلاف فلسفاتهم ... وتباين تصوراتهم ... وتناقض مناهجهم فى الحكم والزعامة والفكر .

(٢)

وهذه الأضداد قد التقت – عن بُعد – حول الإنسان المصرى ، فكان النسيج الذى حاكوا من خلاله أثواب أطماعهم وصاغوا به منظومة أفكارهم ... وجسدوا عن طريقه أحلام أهوائهم أو حسن نواياهم وصدق سعيهم .

ويتجسد الخيال أول ما يتجسد فى تصور ذلك اللقاء غير المتوقع الذى دعا إليه من عالمنا الآخر سلطان الثائرين المفكر **جمال الدين**

الأفغانى ... الذى عشق مصر ... كما لم يعشقها أحد من قبل ... وهو وإن كان غير مصرى ، إلا أنه كان يمثل العقل المصرى فى صورته المتجددة ... والفكر الثورى الذى تردد صداه فيما قدمه زعماء مصر ومفكروها فى آواخر القرن التاسع عشر وآوائل القرن العشرين ... فها هو الشيخ محمد عبده بنزعته الإصلاحية ... والثائر عبد الله النديم بفكره الثورى الإنسانى ... والزعيم سعد زغلول بثوريته المتألقة بعبقرية نادرة ... وبإلهامية عزَّ على كثيرين غيره من القادة والزعماء أن يحققوا القدر اليسير منها .

فمن المؤكد أن هؤلاء العظماء – مع غيرهم – يمكن النظر إليهم باعتبارهم نماذج وضاءة لما صنعه هذا الشيخ المسلم الجليل صاحب الفكر المتألق والنظر الثاقب جمال الدين الأفغانى ، فكان بحق الأب الروحى لكوكبة من عظماء مصر ومفكريها .

ورغم أثيرية العالم الآخر وشفافيته – أو هكذا نعلم عنه – كان إحساس الأفغانى بضرورة توجيه هذا **النداء** ... أو هذه **الدعوة** بما يشبه **الصرخة** ، فهى صرخة المستغيث ... ونداء المستجير الذى استشعر أن فى مصر **أزمة** ، وأن للإنسان المصرى **خطباً** ... لا يجد له تعليلاً أو عجزه وحده أن يبحث له عن تفسير ... فكانت دعوته لهذه الكوكبة من حكام مصر وزعمائها ومفكريها لعلهم – بحوارهم – يجدون لمصر مخرجاً ... ولكن هل اقتصر هذا اللقاء بالفعل على البحث عن هذا المخرج ؟ .

(٣)

يكشف لنا المسار الدرامى لوقائع هذا اللقاء أن الصفوة المجتمعة لم تبدأ حوارها مباشرة فى البحث عن مخرج للإنسان المصرى ... فهذه هى طبيعة الأشياء ... فهذا اللقاء بدى ومنذ أول جلساته وكأنه لقاء تحدى ... نقل صراع الدنيا ... إلى ساحة الآخرة . وقد يرى البعض — وهم أكثر الناس تفاؤلاً — أن هذا اللقاء قد يغدو لقاء **عتاب وحساب** بين حكام مصر وزعمائها ومفكريها ، بينما يؤكد البعض الآخر — وقد نكون نحن منهم — أن هذا اللقاء لم يكن فى الواقع إلا **محاكمة** عقدها رمز الإنسان المصرى **الفلاح صابر أيوب** ... الذى قدر له أن يشهد هذا اللقاء الأثيرى فى عالم الخلود ، محاكمة أقامها لحكامه وزعمائه ومفكريه القدامى ، فكان هذا اللقاء هو (**اللحظة**) الفريدة والوحيدة فى دنياه وفى آخرته التى أتيحت له فاغتنمها ... وكانت المحاكمة التى أصبحت ذات أطراف ثلاثة : طرفها الأول ذلك الفلاح المصرى صابر أيوب ، بينما مثل الحكام والزعماء والمفكرون الطرف الثانى ، أما الطرف الثالث فى المحاكمة ... فقد كان تلك النخبة المنتقاة من الشهود الذين استدعوا — بناء على طلب البعض — تأكيداً للاتهامات أو نفياً لها ، سواء تلك الاتهامات التى وجهها الفلاح صابر للجميع ، أو تلك التى وجهها الحكام والزعماء والحكام بعضهم إلى البعض الآخر .

ولنا أن نتخيل محاكمة بهذه الكيفية ، حيث يتصارع الأضداد بعنجهية الحكام وصلف الزعماء ... فالكل يحاكم الكل ... والكل

يكيل التهم للآخر ... والكل يدفع التهم عن نفسه ... بالبحث عن العلل والتبريرات .

(٤)

وتتصاعد حدة الوقائع درامياً ، فتخف العنجهية البشرية والصلف الدنيوى وتتعاظم شفافية عالم الخلود ... وصفاء دنيا الحب ... والسلام وينهار الكبر الزائف ... ويتداعى صرح الزهو والنفاق ... فكان الاعتراف بالآثام والخطايا التى ارتكبها بعض حكامنا وزعمائنا ومفكرينا فى حق الإنسان المصرى ... ومن ثم كانت دموع الحسرة والندم ... والشعور بالإثم ... الأمر الذى دعاهم إلى (**التفكير**) فى الكيفية التى يعوضون بها الإنسان المصرى عن سنى القهر والظلم ... فكان التدبر والتأمل فى المخرج ... مخرج الإنسان المصرى من أزمته الراهنة .

فوقائع هذه الدراما ـــ إذن ـــ تكشف عن أن للخيال فيها دوراً ، ولكنه خيال موجه ـــ إن صح التعبير ـــ خيال وظف لمناقشة قضايا مصر فى السياسة والحكم فى ماضيها وحاضرها بتجرد الموتى ... وشفافية الراحلين ... رغم ما قد يبدو من حوارهم من غلبة روح العناد الدنيوى وسيادة الصلف البشرى ، فضلاً عما علق بنفوس **بعضهم** من خيلاء الماضى والزهو الأجوف بعظمة السلطة والسلطان ... فجاء حوارهم ومحاكمة بعضهم للبعض مزيجاً من شفافية الآخرة وسماحتها ... وكبر الدنيا وتفاهتها .

(٥)

فها نحن ذا نقف أمام **الموتى الأحياء** شاهدين على الحوار ، راصدين للجدل ، متتبعين مسار ديناميات الصراع ... وبالتالى الوفاق ... تاركين مهمة إدارة الحوار للزعيم الأفغانى ... فنحن إذن شهود على هذه المحاكمة ... ولكننا نعترف أننا لم نكن شهوداً آثرنا التصنت والفرجة ... بل إنه من المؤكد أننا كنا هناك بفكرنا — إن جاز لنا أن نزعم أن لنا فكراً محدد المعالم — وبرؤانا — إن صح أنه قد تحددت لنا رؤى وآراء — وهو الفكر ... وهى الرؤى التى قد تكون قد جاءت على لسان أحد المتحاورين ... أو بعض منهم ... أو قد تكون قد وردت على لسان موجه الحوار ... أو جاءت عفوا من خلال عتاب الفلاح المصرى صابر أيوب ... فنحن هناك إذن بصورة أو بأخرى .

(٦)

وقد يثير البعض تساؤلا مؤداه : هل لهذه **الدراما السياسية** هدف ؟ والواقع أننا ما أردنا بهذا العمل إلا أن يكون تحليلاً لماضينا مروراً بحاضرنا ... تدبراً لمستقبلنا ... ولكن — رغم ذلك — فإن على القارىء أن يستنتج منها ما يشاء من الاستنتاجات ... ويستخلص منها ما يشاء من الاستخلاصات ... فقد تكون هناك عظة وعبرة للحكام والمحكومين ... وقد تكون فيها تصورات ورؤى عن طبيعة نظم الحكم وأكثرها إقتراباً من تحقيق قيم **العدل والحق والحرية** ... وهى القيم المرتبطة بالإنسان وبتحقيق إنسانيته فى أجل صورها .

وتكشف ديناميات هذه الدراما عن مدى غرور الإنسان وصلفه ... لا سيما إذا ما قدر له أن يكون فى موقع حكم أو سلطة ... كما أنها قد تبرهن عن مدى ضعف الإنسان وتفاهته إذا ما كان فى موقف مساءلة أو محاكمة .

وقد يستخلص البعض منا تصورات أو مناهج أو سبلاً خاصة لكيفية (**خلاص**) المجتمع المصرى من أزماته ـــ وهو أحد الأهداف المباشرة لهذا العمل ... وهى التصورات التى نتوقع أن تكون محل جدل ونقاش بين زعمائنا وحكامنا ومفكرينا الراحلين ... وهى تصورات قد يستشف منها حكمة الشيوخ ... ولا سيما وأن معرفتهم بالإنسان المصرى ـــ وهو موضع الحكم والحكمة ـــ قد تفاوتت بين مدرك له ، فاهم لأبعاده ... وبين غافل عن ذات هذا إنسان ، عاجز عن إدراك دنيا مياتها من حيث سلبياتها ... ومواطن القوة فيها ، وما بين الادراك الواعى ... والغفلة والعجز ... تتفاوت حكمة زعمائنا ، ويتباين بالتالى قدر ما يمكن أن يقدمونه فى مجالات الحكم والسياسة وعلاقة الحكام بالمحكومين .

(٧)

ويتبدى هذا التباين ـــ كما سوف نلاحظ عندما تثار قضية الحرية بصورها المختلفة ، وعندما تعرض مسألة حقوق الشعب على حكامه ... وواجبات الحكام تجاه شعوبهم ... وهنا تتجلى فلسفات الحكم كما تبناها زعماؤنا وحكامنا الراحلون ، فضلاً عما يرتأيه مفكرونا الذين لم يقدر لهم

ممارسة السياسة والحكم بصورتها الواقعية والفعلية ، ومن ثم يظهر (**الصراع**) ، وهو ظاهرة حتمية ... لا سيما وأن (**التناقض**) سمة مميزة لهذا الحشد المتنافر من الزعماء والحكام والمفكرين .

وبعـد ... ،،،

فهذا العمل كتب فى حب مصر ... ومن أجل مصر ... ولمستقبل مصر ... فهل أطمع فى أن نتابعه معاً ... وقد أظلنا حب هذا الوطن ... وهل أطمع فى أن نقرأ هدا العمل بعقولنا وقلوبنا معاً ... وأخيراً هل لى أن أدعوكم لكى نتتبع مسيرة هٰذا العمل بصراعها ووفاقها ؟؟

والله نسأل التوفيق

د . عاطف أحمد فؤاد

مصر الجديدة فى أغسطس ١٩٨١

الفصل الأول

دعوة للقاء

١٩

« كان أمراً غير مألوف .. وحادثاً فريداً ... غير متوقع على الإطلاق ... حتى من أكثر الناس تفاؤلاً ... أن يتلقى زعماء مصر وحكامها ومفكريها ـــ وهم فى هدأتهم وخلودهم فى عالمهم الآخر – دعوة للقاء ... موجهة من زعيم ثوار العالم الإسلامى السيد جمال الدين الأفغانى ... الداعية الثائر الذى أنار بفكره ... وعظيم دعاواه كهوف الظلمة فى الشرق الإسلامى ... ظلمة العقل ... وعتمة النفس ... وكآبة الوجدان .

ويزداد الأمر غرابة ، إذا ما عرف أن هذه الدعوة تعد أول مخاطبة مباشرة بين حكام مصر وزعمائها ومفكريها فى عالمهم الأثيرى ... فكثيراً ما كان يلتقى الأفغانى باسماعيل وتوفيق وكأنه لا يراهما ... وكم من مرة يطوف سعد زغلول بجماعة الزعماء والحكام ... فيجد محمد على وأولاده وأحفاده فيمر عليهم متعمداً إظهار عدم المبالاة ... وما أكثر ما شوهد فاروق فى غدوه ورواحه متجاهلاً عبد الناصر ... وناظراً إلى عرابى ومصطفى كامل وسعد بصورة تكشف عن عنجهية وتعال .

أما توفيق وعرابى فكانا يتعمدان ألا يسير أحدهما فى طريق الآخر ... بينما كان الجبرتى أكثر مفكرينا بعداً حتى عن اللقاء العابر بأى من الزعماء والمفكرين ... وكان دائم الحديث لنفسه ... يحاورها وتحاوره ... وكان مثار دهشة الجميع ، غير أنه لم يكن أبداً موضوعاً لحوار أو مناقشة ... الكل تائه ... الكل فى حوار لا ينتهى مع ذاته ... ينظرون جميعا تحت أقدامهم ... كأنهم يبحثون عن شىء مفقود ... الكل يتجاهل الكل ... حتى بقية مفكرينا كانوا يكتفون بالنظر

بعضهم إلى البعض الآخر ... أو يحيون بعضهم البعض بهز الرؤوس أو بمجرد إبتسامة باهتة فارغة من كل مضمون أو معنى .

هذا هو حال زعمائنا وحكامنا ومفكرينا فى عالمهم الآخر ... عالم من الصمت ... والتجاهل والنفور ... فكانت دعوة الأفغانى بمثابة قنبلة شرخت هذا الصمت ... فأحدثت دويها الهائل ... عندما ذهب رسول الأفغانى ليدعو الجميع ... فتحول الصمت إلى حالة من اللغط والفوضى والصخب ... فتنبه الحالمون واستيقظ النيام ... وتساءل الجميع ... ما السر فى هذه الدعوة غير المتوقعة ... حتى الجبرتى الغارق فى صمته ... تنبه إلى أن هناك أمراً ما ... فرفع عينيه بغير إكتراث ، وكأنه ما زال يحدث نفسه وقال متسائلاً ... ما الخبر ؟؟ فلم يصل صوته حتى إلى أقرب الحاضرين إليه ... فالكل يتحدث ... والكل يتشاور ... وفجأة سقط التجاهل وتلاشى النفور — مؤقتاً — وتداعت اللامبالاة ... فأختلطت الأضداد ... وكاد ألا يسمع أحد أحداً من فرط ما كانوا فيه من هلع ودهشة .

وفجأة سكت الجميع على صرخة أطلقها الجبرتى بعد طول صمت ويبدو أنه أدرك مغزى الموقف ... ووعى حقيقة اضطراب الجماعة فأطلق صرخته قائلاً :

الجبرتى : ياقوم ... يا قوم ... فيما أنتم مختلفون ؟ ولم كان اضطرابكم ؟ أعدتم لدنيا البشر ؟ ألا يكفيكم ما كان منكم ... وما كان بينكم فى دنياكم الأولى ؟ يا قوم إن هناك دعوة للقاء ، فعلينا — إن أردتم — أن نلبيها ... ثم ننتظر ما يمكن أن يكون بشأنها . وإن شئتم غير ذلك ...

لا حرج عليكم وكأن الدعوة لم تكن ؟
محمد على : صدقت يا جبرتى ... فهذا هو الكلام الحق ... علينا أن نلبى الدعوة أولا ... أو من شاء منا أن يلبيها ... وسوف تتكشف لنا الأمور بعد ذلك ، فلم العجلة إذن ؟ هذا هو شأنكم دائما يا مصريين تختلفون فيما لا ينبغى أن تختلفوا فيه .

« تحدث حركة اعتراض ورفض واستهجان لما قاله محمد على ... بالإشارة واللفظ ... فتجددت الفوضى مرة أخرى بعدما هدأت بعد صرخة الجبرتى الأولى ، إلا أنه ــ أى الجبرتى ــ حاول أن يهدىء من روعهم ــ أو من روع بعضهم ــ حيث قال :
الجبرتى : معذرة يا سادة ... لا تؤاخذون الباشا (بتهكم وسخرية واضحتين) ... إذ يبدو أنه لم يتغير بعد ... وإن انتقاله إلى هذا العالم ... عالم الحق ... لم يغير من نفسه شيئا ... أليس كذلك أيها المستبد ... غير العادل ؟؟

«يبدى البعض احتجاجه لما قاله الجبرتى خاصة اسماعيل وتوفيق وفؤاد ... وحاولوا التدخل بالرد عليه ... لولا أن الشيخ محمد عبده قد تدخل قائلاً :
الشيخ محد عبده : يا شيخنا العظيم ... لقد انحرفنا عن قضيتنا الأصلية هل نلبى النداء ... أم لا ؟
الجبرتى : عموماً يا سادة ــ وبصرف النظر عما قاله الباشا ــ من شاء أن يلبى الدعوة فليلبيها ويأخذ هذا الجانب (**مشير إلى يمينه**) ــ ومن شاء غير ذلك فليمتنع وهو غير ملوم ... فالكل ــ ولأول مرة ــ أحرار

فيما يعتقدون ... وفيما يرون أو يسلكون ... ولا تنسوا أيها الزملاء ... أننا فى دار الحق حيث لا زيف ولا خداع ... حيث دنيا التجرد والحرية .

أحمد عرابى : (فى صوت يجمع بين التأدب والعظمة) يا شيخنا العظيم ... أرى إننا إما أن نلبى النداء جميعاً ... ؟ أو نمتنع جميعاً ... فإن الأمر يبدو أنه أخطر مما نتصور .

« يتقدم سعد زغلول بثقة متناهية قائلاً بصوت يكشف عن عمق فى الشخصية وقدرة متميزة على التأثير فى الآخرين »

سعد زغلول : نحن المصريون ــ لا سيما الثوار منا ــ لا نخشى هذا اللقاء ... اللهم إلا إذا كان بعضنا (ملمحاً إلى محمد على وأبنائه وأحفاده) يرون فيه ما يمكن أن يكدر صفوهم ... أو يذكرهم بماضى لا أعتقد أنهم فخورون به .

أحمد فؤاد : (بغضب شديد) من تقصد بكلمة (**بعضنا**) يا هذا ؟؟ ثم إنك لو كنت تعنى أسرة جدنا الأكبر العظيم محمد على ... فمن المؤكد أن ماضينا ليس فيه ما يمكن أن نتنكر له ... أو نخجل منه ... أليس كذلك يا سادة ؟

« وعندئذ ينظر سعد إلى عرابى ... ويبتسم مصطفى كامل ... بينما تجهم وجه عبد الناصر معلناً نيته على الرد على فؤاد ... إلا أن الجبرتى قد فأجأ الجميع حين قال ساخراً :

الجبرتى : حقا يا عزيزى ما تقول ... وخاصة وأن أعمالكم شهود عليكم ؟؟ إن أمركم عجيب حقا يا آل محمد على ... ما زال طبعكم الدنيوى غالب عليكم ... الكبر والصلف ... والزهو الأجوف .

« وفجأة يتقدم مصطفى كامل بصوت هادىء وقور ... لا يتناسب وعمره الدنيوى قائلاً :

مصطفى كامل : معذرة لشيخنا الجبرتى ... ومعذرة لكم جميعاً يا سادتى وأساتذتى ... إن تدخلت بالرأى ... إننا بحوارنا هذا سوف نتانسى ما نحن بشأنه ... أرى ضرورة أن نحسم الأمر بشأن دعوة أستاذنا الأفغانى ... ولى فى هذا رأى أو إقتراح ... لو تفضلتم واستمعتم إلى ؟؟

الجبرتى : هات ما عندك يا بنى فإن ما تردد عن عمق فكرك وحصافة عقلك يجعلنا شغوفين لسماع رأيك ... والذى لا أشك إطلاقاً فى عظيم فائدته ... فهات ما عندك يا بنى ؟

مصطفى كامل : شكراً لشيخنا الجليل ... واقتراحى ببساطة هو أن نبعث بمندوبين ... أو ممثلين عنا لمقابلة أستاذنا الأفغانى ... لنرى ما وراء دعوته ؟

مكرم عبيد : إقتراح طيب (ثم بتردد) وإن ... وإن كنت أخشى أن يفهم الأستاذ الأفغانى أن إرسال المندوبين تقليل من شأن الدعوة أو استهانة بقيمة صاحبها .

« ينظر مصطفى النحاس صوب مكرم عبيد ... نظرة تكشف عن تحدى ثم قال :

مصطفى النحاس : هذا شأنك دائما يا مكرم ... التوجس ... والخوف وعدم الثقة .

« فيهم مكرم بالرد على النحاس ... ولكن يفسد عليه هذا

صوت جماعى من تلاميذ الأفغانى نتبين منها صوت عبد الله النديم الجهورى »

النديم : أرجو أن يطمئن الأخ مكرم عبيد ، ويطمئن كل زملائنا ، إن أستاذنا الأفغانى أرفع من أن يتبادر إلى ذهنه مثل تلك الصغائر .

إسماعيل : ولم الغضب أيها السادة ؟ نحن نعلم إنه إستاذكم ... فلم الانفعال ؟؟ ولم التوتر والحساسية ؟ ... ومع دلك فأرجو أن تأذنوا لى أنا وتوفيق ... ومن شاء (مشيراً إلى فؤاد ... وفاروق) بألا نحضر هذا اللقاء ... فهذه دعوة من أستاذ لتلاميذه أو زملائه .

محمد على (بانفعال شديد) : ما هذا يا اسماعيل ؟ ما هذا يا سليل المجد والشرف ؟ أتخشى لقاء هذا الرجل ؟ أنا ما عهدت فيكم هذا أبداً ... فإلى هذا الحد يكدر هذا الرجل صفوكم فى الدنيا والآخرة ؟

إسماعيل : (بأدب وبصوت خفيض) : يا جدنا العظيم ... إن ماقلته لا يعنى خوفا من الرجل ... فما كنا أبداً نخاف أحداً ... ولكن ما أود أن أقوله هو أنه ما جدوى لقاء رجل اختلفنا معه فى دنيانا الأولى ... ولا أعتقد أننا سوف نتفق معه فى دنيانا الأخرى ؟؟

« وهنا يندفع فاروق بحماس ... وكأنه يصرخ قائلاً :

فاروق : لا ... لا ... يا جدنا الأكبر ... فنحن السلاطين والأمراء والملوك ... ما تعودنا أن نتلقى أوامر من أحد ... حتى ولو كانت فى صورة دعوة ... إن هذا يتناقض وخصوصيتنا البشرية !

« وهنا صارت همهمه وأصوات احتجاج تزعمها عرابى وزغلول ومصطفى كامل ... وجمال عبد الناصر ... الذى اندفع

قائلاً لفاروق :

جمال عبد الناصر : أنت يا هذا ... أما زلت على عنادك وكبرك ؟ ألم تتخلص بعد ــ أنت وجدودك ــ من الكبرياء الزائف والصلف الأجوف ؟ ألم تتعظ بما أصابك فى الدنيا ؟

« وفى هذه اللحظة تنتاب فاروق حالة من الضحك الهستيرى لا شك أن جميع الحاضرين قد أدرك مغزاها ... وفهم دلالتها ... ثم قال وهو يحاول أن يتحكم فى ضحكته :

فاروق : يا جمال ... يا زعيم الثورة المباركة (بسخرية وتهكم) أنت آخر من يتكلم ... فإن ما ارتكبته فى دنياك الأولى يفوق كل وصف وخيال ؟ أليس هذا حقا يا سادة ؟

« يحاول عبد الناصر أن يناقش فاروق ... فيفسد عليه رغبته صوت هادىء ... آت من أفق بعيد ... تبين بعد ذلك للجميع أنه لأمير شعراء مصر أحمد شوقى :

أحمد شوقى : إيلام الخلف بينكم إيلاما ... وهذه الضجة الكبرى علاما ؟

« وهنا ينتحى سلامة موسى جانبا مؤثراً عدم مقابلة شوقى ، نظراً لما كان بينهما من خصومة وعداء ، وهى الخصومة التى كان سببها إيمان سلامة موسى بالدور الإنسانى للأديب والشاعر لا سيما فى التصدى لمشكلات الجماهير والقضايا العصرية الملحة للمجتمع وهو ما لم يجده ــ حسبما تصور ــ فى كل من شوقى وعلى الجارم

والعقاد . وقد لاحظ ذلك أحمد لطفى السيد ... فتقدم من شوقى مرحباً به حتى لا يلحظ هذا الموقف من سلامه موسى ... ثم قال :

أحمد لطفى السيد : أهلاً بأمير شعراء مصر ... لقد جاءتنا دعوة للقاء السيد جمال الدين الأفغانى ... لأمر مجهول لدنيا ... فالبعض يرى أن يذهب كل حكام مصر وزعمائها ومفكريها للقاء الرجل ... بينما يقترح آخرون ــ بل هو اقتراح كان مقدماً فى الواقع من مصطفى كامل ــ أن نبعث بممثلين عنا ... فما رأى شاعرنا الأمير :

« وهنا يتدخل بصورة فجائية سلامة موسى مبدياً اعتراضه على استشارة أحمد شوقى قائلاً :

سلامة موسى : إن أمرك عجب يا أستاذ لطفى ... إن الدعوة موجهة لنا نحن المفكرين والزعماء والحكام وليس لغيرنا (بتهكم) فنحن أدرى بشئوننا نحن الذين عملنا من أجل الشعب ... هل نلبى الدعوة جماعة أو ممثلين ... فهذا شأن من شئوننا ... وليس لغيرنا أن يستشار فيه ؟

« وهنا يبدو على الجميع الحرج ... أما أحمد شوقى فقد اكتفى بأن نظر إلى سلامه موسى مبتسماً ... غير مبال بما قال ... فى حين تدخل الشيخ محمد عبده مخففاً من حرج الموقف قائلاً :

الشيخ محمد عبده : عفواً يا ساده ... فمقدم شاعرنا الأكبر أحمد شوقى يستوجب مزيداً من التحية والإجلال والاحترام ... وهو شريك معنا باعتباره أحد قادة الفكر والرأى ... فأهلاً بك يا شاعرنا العظيم .

سلامة موسى : شريك معنا ؟؟ !!وأحد قادة الفكر والرأى !! ... لا ياسيدى إنكم تزورون التاريخ أين شاعركم الأكبر هذا من عظمة بيرم

التونسى وشفيق المصرى وبديع خيرى وأبو بثينه ؟؟ .. إن كانت تلك هى البداية فلتسمحوا لى أن انسحب ولتتحملوا مغبة هذا .

(ثم يسير سلامة موسى منسحباً ... غير أن البعض لم يهتم حتى بمجرد الالتفات إليه ... وهو أمر عجيب ... رغم وطنية الرجل وإن اختلف البعض معه)

لطفى السيد : والآن ما رأى شاعرنا العظيم ؟

أحمد شوقى : شكراً لكم ... وعلى عظيم موقفكم ... ولا شك أن دعوة الأستاذ الأفغانى دعوة كريمة من رجل كريم ... إلا أننى أميل كثيراً إلى فكرة الممثلين أو المندوبين ... غير أننى أرى أن يكون هؤلاء الممثلون أو المندوبون مختارين إما بالانتخاب أو بالقرعة ... مثلاً ؟

محمد على : ياقوم ... تحدثوا لغة نفهمها ... إنتخاب ... وقرعة ما معنى هذا ... ؟؟

لطفى السيد : الانتخاب أسلوب ديمقراطى لاختيار ممثلى الجماعة أو المجتمع ؟

محمد على : أنت كمن فسر الماء بعد الجهد بالماء ... إننى لم أفهم شيئا ؟

محمد حسين هيكل : يا سيدى إن ما قاله استاذى لطفى السيد هو بديهيات فى حكم الأمم والشعوب التى تحترم ذواتها فليس غريباً حقاً أن **البعض** لا يفهمها ... وبصرف النظر عن هذا كله فأنا أويد اقتراح أمير شعرائنا ... وإن كنت أفضل (**القرعة**) على أن يتولى أستاذى لطفى السيد إجراءها .

لطفى السيد : شكراً لك يا هيكل ... يا محمد يا ابن أخى ... أتذكر هذا عندما كنت أقدمك إلى أصدقائى ومعارفى ؟؟ ... فشكراً لك مرة أخرى ... وشكراً لكم جميعاً ... وأنا رهن إشارتكم فيما يتعلق بإجراء القرعة .

محمد عبده : إذن علينا أن نجريها بإذن الله ومشيئته

« تسرى حركة امتعاض بين بعض أفراد الجماعة تكشف عن عدم رضا ... وعدم فهم فى الآن نفسه ... لا سيما من محمد على وأحفاده ، ورغم ذلك ... فإن لطفى السيد تقدم قائلاً :

لطفى السيد : على بركة الله ... فلنحصر أسماء الحاضرين أولا ... ثم علينا أن نتخير أحدنا ... لكى يسمّى لنا الأفراد المختارين بإلتقاط أسمائهم من هذه السلة (مشيراً إلى سلة بجواره مصنوعة من مادة غير مألوفة لدينا نحن ساكنى الدنيا الأولى) ... فمن تختارون منكم ؟ أو تتركون لى مهمة إختيار أحدكم ؟

بعض المجتمعين : نترك لك هذه المهمة .

لطفى السيد : (**بعد لحظة تفكير**) : فليكن مصطفى كامل على بركة الله

الأغلبية : (إلا البعض آثر الصمت متحفظاً بالسبة لمصطفى كامل) على بركة الله .

« يقوم لطفى السيد بحصر أسماء الحاضرين وكتابتها فى قطع صغيرة تشبه الورق ، ثم يضعها فى السلة ذات المادة مجهولة الهوية ... ثم ينادى على مصطفى كامل لكى يختار الأسماء والتى يحددها لطفى

السيد فى خمسة عشر إسماً ... فيحضر مصطفى كامل ويقوم بالمهمة الموكولة إليه ، ثم ينادى على الأسماء :

مصطفى كامل مناديا على الأسماء : أحمد عرابى ، محمد على ، جمال عبد الناصر ، سعد زغلول ، الشيخ محمد عبده ، لطفى السيد ، الشيخ عبد الرحمن الجبرتى ، فاروق ، توفيق ، عمر مكرم ، الدكتور محمد حسين هيكل ، فؤاد ، الشيخ على عبد الرازق ، إسماعيل ، عبد الله النديم .

لطفى السيد : هؤلاء بالفعل خمسة عشراً فرداً ، ما بين حاكم وزعيم ومفكر ... فعلينا أن نعد أنفسنا لمقابلة الرجل صاحب الدعوة ... وأرجو أن تكون القرعة قد أرضت الجميع ؟

مصطفى النحاس : لو سمحتم لى أيها الزملاء ... فأنا شغوف للقاء الرجل ... وسماع ما عنده ... فلو تأذنوا لى أن أضم إلى الجماعة المختارة ؟

وليم مكرم عبيد : وأنا كذلك ... فمنذ أن رحلت إلى عالمنا هذا ... ولهفتى على لقاء الرجل ... ورغبتى فى ذلك لا تضاهيها لهفة ... ولا تدانيها رغبة ... فلو تسمحوا لى أن أكون من بين من سيكون لهم حظ لقاء العظيم الافغانى ؟

لطفى السيد : ما رأى زملائنا الأفاضل فيما يرى النحاس ومكرم ؟

سعد زغلول : أرى يا لطفى ألا نحرمهما متعة هذا اللقاء ؟

لطفى السيد : إذا لم يكن هناك مانع فليضم الزميلان ؟

بعض الأصوات المتفرقة والمتباعدة : لا بأس ... لا بأس

لطفى السيد : إذن على بركة الله .

★ ★ ★

« يذهب ممثلو حكام مصر ومندوبو زعمائها ومفكريها للقاء السيد جمال الدين الأفغانى ... ولا ندرى بأى وسيلة انتقلوا إليه ... حيث يبدو أن المسافة بين مكان إقامتهم ... وإقامة السيد الأفغانى ليست بقصيرة ... فيستقبلهم الرجل واقفاً محيياً إياهم فرداً ... فرداً ... بعد أن كان جالساً على ما يشبه الأرض الخضراء ... تحيطه جداول ماء تنساب برقة محدثة صوتاً أشبه ما يكون بالموسيقى ... إلا أنها موسيقى غريبة على الآذان البشرية ... وبرفقته إناس يلتفون حوله فيما يشبه نصف الدائرة ... ويبدو أنهم من جنسيات مختلفة وأجناس متابينة ويبدو أيضا ... أنهم كانوا على لقاء معه لمناقشة أمر من الأمور ... ثم يبادرهم الأستاذ الأفغانى قائلاً

جمال الدين الأفغانى : أهلاً ... بأهلى وعشيرتى ... أهلاً بأحبائى زعماء مصر ومفكريها ... أهلاً (بعد تردد لم يستغرق سوى برهة قصيرة) ... أهلاً بحكام مصر .

محمد عبده : (وقد تهلل وجهه بشراً) مرحباً بأستاذنا وزعيمنا العظيم ... ومجدد عظمة العقل فينا .

عبد الله النديم : **(وقد علت وجهه بسمة تكشف عن سرور صاحبها للقاء حبيب بعد طول فراق)** مرحباً بمعلمنا الأول ... مرحبا بمن كان له فضل إحياء روح الثورة فينا ... أهلاً بأبينا الروحى ... وزعيم ثوار الشرق ... أهلاً بك يا سيدى .

أحمد عرابى : **(ناظراً إلى الأفغانى نظرة ملؤهاالحب والإكبار)** أهلاً بك يا زعيمنا الأكبر ... لقد كنا تواقين للقائك ... لنشكو لك ما عانينا فى الدنيا ... وما أصابنا من ظلم البشر (ناظراً بطرف عينيه إلى توفيق) ... أهلاً بك يا من علمتنا الصبر والحكمة .

سعد زغلول : (يتقدم إلى الأفغانى فاتحاً ذراعيه ... مقبلاً عليه . بحيث يكاد أن يعانقه وقد أغرورقت عيناه بالدموع)

ها نحن يا سيدى قد قدر لنا أن نلتقى ... نحن تلاميذك ومريدوك ... يا من عز علينا فراقك بعد أن اصطفانا الزمن وأنعم علينا القدر بنعمة لقائك والتتلمذ على يديك فكنت خير معلم ... وأكمل أستاذ ... ولا أحسب يا سيدى أن أحداً من تلاميذك أو مريديك قد نسى لقاءات مقهى متاتيا ... وجلسات المقهى الهادىء بخان يونس فى حى الحسين حيث كان مسكنك ... فأهلاً بك يا عظيمنا ... ويا مجدد وجدان الأمة المصرية .

السيد جمال الدين الأفغانى : (متأثراً بما سمعه من تلاميذه من إعتراف بفضله ... وإقرار بعظمته) :

أهلاً بكم جميعاً أهلاً بمن كان لى شرف معرفته فى الدنيا ... وأهلاً بمن شاء حظى أن أتعرف عليه فى دنيانا الأولى ... وأهلاً بمن اتفقوا معى واتفقت معهم ... وأهلاً بمن خاصمونى فلم ترضهم أفكارى ... فدخلنا معاً فى صراع وخصومة ... ما أغنانا عنهما لو كنا قد استمعنا إلى صوت الحق والعدل ... وهو ما أرجو أن نكون قد تخلصنا منه فى دنيانا الجديدة حيث الحب والصفاء والسلام .

لطفى السيد : يا أستاذنا العظيم ... لقد أثارت دعوتكم الكريمة لنا — والتى نحن سعداء حقا بها — تساؤلات البعض ودهشة الآخرين ... فهل لك أن تريحنا ... حتى تطمئن نفوسنا ؟

الأفغانى : معذرة يا سادة ... إن طالبتكم بهدأة النفس ... حتى نتدارس جميعاً ما وراء دعوتى التى أشكركم على تلبيتها بهذه السرعة ... فإن الأمر متعلق بمصر وبالإنسان المصرى ... إن مصر يا سادة فى أزمة ... لقد وصلتنى من القادمين الجدد إلى عالمنا هذا أنباء تكشف عن مدى معاناة الإنسان المصرى ... ونحن هنا لا حول لنا ولا قوة ... ومعذرة إن تدخلت فى أزمة الإنسان ـــ رغم أننى لست مصرياً ـــ إلا أننى أحببت هذا الإنسان كما لم أحب إنساناً من قبل ... فسامحونى إن اعتبرت نفسى مصرياً ... منتمياً إلى مصر ... بالروح والوجدان ... فكم ساءنى أن يصل إنساننا المصرى إلى هذه الدرجة من المعاناة ... والسلبية واللامبالاه بقضايا أمته ووطنه .

صدقونى يا أخوانى إننى ـــ ومنذ أن انتقلت إلى عالمنا هذا ـــ وأنا أتابع ما يجرى على ساحة المجتمع المصرى ... واتتبع هذا الإنسان فى انتصاراته وفى كبواته ... ولكن معذرة إن قلت إن ما وصل إليه هذا الإنسان فى اللحظة الراهنة ... هو فى يقينى قمة المأساة !... **فرغم جهود سلطات مصر الحاكمة ، وهى لا شك جهود محمودة ... ولكنها مثيرة فى بعض خطواتها للتساؤل** ... ولا سيما ـــ وهذا هو لب الأزمة وجوهرها ـــ **إن تخلف وعى الإنسان المصرى وعزوفه عن المشاركة الجاده فى قضايا مجتمعه السياسية والاجتماعية والاقتصادية**

أضحى **ظاهرة** ... حتى المثقفين من المصريين تحولت إهتماماتهم إلى اهتمامات ذاتية ... والمحير حقا هو أن الإنسان المصرى لم يصل أبداً عبر تاريخه الطويل ... إلى ما وصل إليه الآن من تخلف وتدهور ولا مبالاة . وأنا هنا لا أعنى على وجه الدقة تدهوراً مادياً أو تخلفاً حضارياً من حيث ما هو متاح من إبداعات ماديه ... رغم أنه ــ مع ذلك ــ ما زال مجتمعاً معتمداً ... ولم يتحقق بعد إستقلاله أو تميزه المادى والإنتاجى ... ولكن ما يعنينى بالدرجة الأولى هو ذلك التخلف السياسى ... والتدهور الرهيب فى درجة الوعى ... والهوة المخيفة القائمة بين هذا الإنسان وحكامه ... فضلاً عن حالة الاغتراب السياسى والسلطوى التى يحياها إنساننا المصرى .

ولعل كل ذلك جعلنى اتساءل : من هو المسئول عن ذلك ؟؟ هل هى **ظروف استحدثت** فغيرت من طبيعة هذا الإنسان ؟ أم أن السبب فى ذلك يرجع إلى طبيعة هذا الإنسان **فى علاقته بالسلطات الحاكمة** ؟ ومن هو الظالم ؟ ومن هو المظلوم ؟ هلى هى السلطة ؟ أم الشعب ؟ ما هى القضية ؟ ... لقد أعيتنى الحيلة ... وعجزت وحدى ... أن أجد تفسيراً ... ومن ثم مخرجاً لمأساة هذا الإنسان ... فهل أجد لديكم العون أيها الزملاء ؟؟ !

« يخيم على الجميع لحظة صمت ... وكأنهم يسترجعون ما قاله الأفغانى ، وإن بدى بعضهم غير مبالٍ ... وهنا يتقدم لطفى السيد قائلاً :

لطفي السيد : يا أستاذنا العظيم ... ويا معلمنا الأكبر ... إن خوفك على إنساننا المصرى لهو أمر نكبره لك ... وشعور نجله غاية الإجلال ... فهكذا أنت دائما ... سباق فى الإحساس بآلام الشعوب ... مدرك لأدوائها .

الأفغانى : ولكننى إزاء أزمة الإنسان المصرى تعطلت كل ملكات الفكر والاحساس لدى ... ونضب معين الادراك عندى ... فلقد اعيتنى الحيلة بالفعل ... إذ يبدو أن أزمة الإنسان المصرى قد تعاظمت بحيث أنها تجاوزت كل حدود الفكر والتصور ... ومع ذلك أرجو من الأخوة الزملاء أن يشاركونا الرأى ... والفكر ... لأن هذا هو سبب دعوتى لكم ... إنها أزمة إنساننا المصرى ... فما رأيكم ... (مخاطباً لطفى السيد) ما رأيك يا لطفى ؟

لطفي السيد : يا سيدى أنت تعلم ــ وأنت فى هذا معلمنا وأستاذنا ــ أن أزمة الإنسان المصرى ... هى أزمة السلطة ... هى أزمة علاقة الحاكم بالمحكوم ... أو بالأحرى ... هى **أزمة الحرية** ... حرية المحكومين فى مقابل تقييد سلطات الحاكمين ... وهكذا علمت يا سيدى تلاميذك ومريديك ... ولعل هذا يا سيدى ما جعلنى أنادى دائما بمذهب الحريين ... أو ما كان يسمى بالليبراليه ... حيث يصل الإنسان من خلالها إلى قمة إنسانيته .

الشيخ محمد عبده : أنا لا اختلف معك يا لطفى ... ولكننى قد أصيغ ما قلت بطريقة أخرى هو أن أزمة المجتمع المصرى منذ أن خلق هذا المجتمع هى **أزمة شرعية السلطة** ... وتلك كانت أزمتنا ــ نحن

المفكرين ـــ مع حكام زماننا .

توفيق : (**مندفعاً**) أى شرعية ؟؟ وأى سلطة ؟؟ لولا السلطة ما كان هذا الشعب .

عبد الله النديم : (**بصورة أكثر إندفاعاً**) يا هذا ... إن الشعب هو خالق السلطة أو هذا ما ينبغى أن يكون .

الأفغانى (**بهدوء وبصوت يكشف عن حكمة السنين**) : إذن بدأ الحوار بيننا ... والحق كما يقول النديم ... إن الشعوب هى خالقة السلطة ... ولا شك أن حق الخالق على المخلوق ... هو الطاعة ... إلا أن الآية قد انعكست فى علاقة المصرى ـــ خالق السلطة ـــ بالمخلوق الذى استبد بخالقه ... فأضحى الخالق عبداً ذليلاً للمخلوق ... هكذا كانت الحال سائدة فى مصر .

اسماعيل : أرجوكم يا سادة أن تتريثوا فى أحكامكم ... لقد تم فى عهدى تقديم أول مشروع متكامل لدستور مصرى عام ١٨٧٩ ... لقد أخذت بيد الانسان المصرى ... معرفاً أياه حقوقه السياسية ... فكيف إذن يكون خالقى ؟؟ !

الشيخ على عبد الرازق : (بصوت هادىء وقور) : يا إسماعيل ... إن الدساتير ليست قيمة فى حد ذاتها ... بل العبرة فيما يتضمنه الدستور ، ثم ـــ وهو الأهم ـــ فى تنفيذ ما جاء به ... إذا إفترضنا حسن النية فيه .

جمال عبد الناصر (**يتقدم بجرأة أثارت انتباه الحاضرين**) : الحق كما يقول الشيخ الجليل ، وأبرز مثل على ذلك هو عهدى ... الذى كان

بحق عهداً دستورياً من حيث عدد الدساتير ... ومن حيث ما تضمنته هذه الدساتير من معان وقيم تمجد الحرية وتدعم مبادىء العدالة والديمقراطية .

« وهنا تسرى همهمة بين الحاضرين ، فى حين نلاحظ أن البعض قد حاول كتم ضحكته التى تكشف عن سخريته مما قيل ... بينما اكتفى البعض بابتسامة لا تخفى دلالتها ... إلا أن فاروق كان أكثر تجسيداً لمشاعره ... حيث خاطب عبد الناصر وهو ما زال يضحك ضحكته الضخمة المعهودة وبصوته الأجش القوى :

فاروق : ها أنت مرة أخرى يا جمال ؟ ! ... ألا تخجل يا رجل مما تقول ؟ ... آية دساتير تتحدث عنها ؟ وأية عدالة حققتها ؟؟ وأية حرية أو ديمقراطية تلك التى دعمتها ؟؟ ... إنك تدعى أن **حركتك** أو ما تسمونه **بالثورة** قد قامت أساساً لإنقاذ الإنسان المصرى ورفع كاهل الظلم عنه ... ظلم المستعمر ... وظلم القصر كما كنتم تسموننا ... فبالله عليك ماذا حققت للإنسان المصرى ؟؟ ... ثم أين هى المبادىء الست تلك التى روجتم لها ؟؟ .. وماذ حققتم منها ؟؟ لقد افتقدت يا أخى حتى سمة الخجل ؟

« يهم جمال عبد الناصر مندفعاً بالرد على فاروق فيتدخل الأفغانى قائلاً :

الأفغانى : يا أخ فاروق ... ويا أخ جمال ... إننى ما دعوتكم لكى يكيل البعض التهم للبعض الآخر ... ولكننا أمام محنة ... محنة الإنسان المصرى ... ولكن لا بأس إن أردتم ــ ومن خلال البحث عن مخرج

لمحنة إنساننا المصرى ـــ **أن نراجع جميعاً مواقفنا إزاء هذا الإنسان لعلنا نستطيع أن نتخذ من الماضى عبرة وعظة** ... لكى نحلم جميعا بمستقبل مأمول لمصر ... مستقبل يتجاوز فيه الإنسان المصرى كل محنه وأزماته .

لطفى السيد : إقتراحك يا سيدى الخاص **بمراجعة الذات** ... إقتراح طيب ... شريطة أن نحاول أن نتجرد من أهوائنا ... وكبرنا وزهونا ... وأنا أقول **نحاول** ... لأننى واثق أن بعضنا لم يتخلص بعد من زيف دنيانا الأولى ... فهلاً نسأل أنفسنا ماذا قدمنا لإنساننا المصرى ؟

الأفغانى : إذا كنتم موافقين على إقتراحى هذا (أصوات متداخلة ... موافقون ... موافقون) . إذن علينا أن نبدأ حوارنا ... على أن نعطى للأخ عبد الناصر فرصته فى الرد على الأخ فاروق ... ثم يتتابع حوارنا بعد ذلك .

جمال عبد الناصر : شكراً لك يا سيدى ... ما أود أن أؤكده أولا هو أن ثورتنا قامت لأسباب تعلمونها جيداً ... على رأسها الفساد والصراع الحزبى ... والتدهور الاقتصادى والتفكك الاجتماعى الذى وصل إليه الإنسان المصرى ... فقمنا بثورتنا وحققنا ... أوحققت أنا بالذات لهذا الإنسان ... (مخاطباً فاروق) ... ما عجز عن تحقيقه جدودك وأسلافك .

لطفى السيد : يا جمال ... يا جمال ... أرجو أن تعى جيداً ما أقوله لك ... لقد باركت حركتكم منذ نشأتها ... وكنت أتوقع منك الخير لمصر وللمصريين ... ولكن هل تحقق ما توقعته فعلاً ؟ أخشى أن أقول

ـــ ولكنها الحقيقة ـــ **إنك وصلت بالإنسان المصرى إلى قمة تخلفه ... إذا جاز أن للتخلف قمة** ... ويكفينا ما ذكره القادمون إلى عالمنا هذا من مصر وغيرها ورواه المظلومون ... الذين كنا نتلقفهم ونطيب خواطرهم . ولكن للأسف يا جمال ... إن ما وصل إليه إنساننا المصرى من تدهور فى عهدك ـــ **وهنا** أؤكد على كل من الحرية والعدالة على وجه الخصوص ـــ لم يصل إليه هذا الإنسان من قبل فى عهد من العهود التى كنتم تسمونها عهودا مظلمة .

محمد على : (بغضب شديد) للأسف يا سادة إن الأخ جمال يقول لحفيدى فاروق ، إنه حقق للإنسان المصرى ما عجزنا نحن الأسلاف والجدود عن تحقيقه ... أى أمر مضحك هذا ؟؟ ! ألم يسمع السيد جمال **بمؤسس مصر الحديثة ... محمد على باشا** ... هل تناسى ونحن فى بداية القرن التاسع عشر بعظمة النهضة التى أحدثتها فى مصر ... ألم يقرأ التاريخ ؟؟ ثم ألم يخبره المؤرخون بنهضتنا فى التعليم والصناعة والزراعة ؟ ... ألم يصل إليه خبر تكوين أول جيش مصرى ؟ ألم يسمع عن إنتصاراتنا العسكرية وفتوحاتنا الحربية ... ثم مدارسنا فى الطب والتوليد والهندسة والحربية ... ألم تصل إليه أخبارها ... ثم ماذا نسمى مشروعاتنا الصناعية وقيامنا بإنشاء القناطر الخيرية ... ثم مشروعات الرى واستصلاح الأراضى ... والتى لم تزد كثيرا ـــ بل ربما تكون قد تناقصت الآن ـــ عما كانت عليه فى عهدى .

إن مائة وخمسين عاماً مرت حتى الآن منذ ولايتى على مصر ... فهل لكم أن تقارنوا يا سادة بين عهدى هذا ـــ واضعين هذه الفترة فى

إعتباركم ـــ وبين عهد هذا الرجل المدّعى ... ثم اخبرونى يا منصفين ... أى عهد كان أفضل ؟ وأى عهد تحقق فيه الرخاء للإنسان المصرى ؟؟ ! إلى هذا الحد يزور التاريخ يا سادة ؟؟ ! إننى أعجب من أمر هذا الرجل ؟؟

الجبرتى : (بصوت واهن ضعيف) : مهلاً يا باشا ... مهلاً ما فعلته لا يستطيع أن يكابر فيه أحد ... فأنت بالفعل مؤسس مصر الحديثة ... وحققت لها من الأمجاد أنت وابنك إبراهيم ما عجز عن تحقيقه الآخرون ... ولا يمكن أن نتناسى أفضالك فى التعليم والصحافة والصناعة والزراعة ... ولكن يا سيدى الاستبداد والظلم ... والفردية فى الحكم على نحو ما يذهب المعاصرون ... وألا تتذكر وأنا القائل فيك ... **لو منحك الله شيئا من العدالة لكنت أعجوبة زمانك وفريد أوانك ؟؟** ... إن الاستبداد والظلم كانا آفة عصرك ... وهما أيضا ـــ ويا للأسف ـــ آفة حكام الشرق كلهم .

عمر مكرم (بعد طول صمت) : لو سمحتم أيها الزملاء ... أن أذكر الباشا بأمر قد يكون ـــ لطول الزمن ـــ قد تناساه ... إنك يا باشا قد توليت أمر مصر بإرادتنا نحن الشعب المصرى ... وكنا نحن العلماء والمشايخ سنداً وعوناً لك ... لأننا أستبشرنا بك خيراً ... ولقد كان فيك من الذكاء والفطنة ما جعلنا نثق فى أن مصر سوف تشهد على يديك مجداً عظيماً ... ولقد تحقق لها هذا بالفعل ... ولكن معذرة يا سيدى يبدو أن شهوة السلطة قد استبدت بك ... فتفردت بالحكم ... وكنت الآمر ... الناهى ... ونكلت بنا نحن المشايخ ـــ

زعماء الشعب آنذاك ـــ ونفيتنى إلى دمياط عندما تصديت لعنجهيتك وتسلطك وديكتاتوريتك فى الحكم ... لقد عملت على تقويض كل أمجادك بإحتقارك للإنسان المصرى .

محمد على : (بتعالٍ) إنكم ... أنتم يا معشر الشعب المصرى ... لم يكن يجدى معكم إلا مثل هذا الأسلوب ... هكذا خلقتم ... وهكذا تعودتم ... وكان الأجدر بكم أن تحمدوا الله ... على نعمته حيث وهبكم حاكماً مثلى حقق لكم ما يشبه المعجزات .

« تحدث حركة إعتراض ـــ لما قيل ـــ يتزعمها أحمد عرابى وسعد زغلول وعبد الناصر ومصطفى كامل والنديم . فاختلطت الأصوات بعضها بالبعض الآخر ، نتبين منها (الكثرة) معترضاً على ما قاله محمد على وهم ممثلو زعماء مصر ومفكريها الوطنيين ، كما نستبين منها ـــ أيضا ـــ (القلة) ، وهم من أبناء محمد على وأحفاده الذين تزعموا (حركة) تأييد مبالغ فيها لكل ما قاله عميد عائلتهم ـــ محمد على ـــ »

« وهنا يتدخل الأفغانى حاسماً للموقف المتأزم ... قائلاً :

الأفغانى : يا سادة ... إحتراماً لحرية الرأى ... وبغض النظر عما قيل ... فينبغى أن نمنح له الفرصة كاملة حتى يعبر عن وجهة نظره كاملة ... فمعذرة إن طلبت منكم عدم التدخل حتى ينتهى الرجل من حديثه .. فهات ما عندك يا باشا .

محمد على (ناظراً إلى الجميع ثم مركزاً بصره على عمر مكرم) : أما أنت يا نقيب أشراف عصرك ... فأعلم أن من نكل بك فهم زملاؤك

الذين غدروا بك ووشوا بك عندى ... وأنا كنت فى مرحلة بناء الدولة المصرية ... فما أخطأت حين نفيتك إلى دمياط بعد ما تراءى لى أنك تتآمر ضدى ... فلقد كنت أحمى مصر ... وبناء مصر .

عمر مكرم (مقاطعاً) : لقد كنت تحمى نفسك ... وتدعم سلطانك

الجبرتى (مستغلاً تدخل عمر مكرم ومقاطعته لمحمد على) : إن ما فعلته يا باشا فى مذبحة المماليك ألا يؤكد سوء نيتك ... ومحاولاتك للإنفراد بالسلطة والسلطان ... لقد نكلت بالجميع ... حتى أنا حرمتنى من فلذة كبدى ... إبنى ... بتحريضك على قتله ... حتى كف بصرى من شدة حزنى عليه .

محمد على : أولا ثق ... يا جبرتى أنه لولا ما تم بشأن المماليك ما كان يمكن أن يتحقق ما تحقق من اصلاحات أنتم جميعا اعترفتم بها ... فلقد كان المماليك بصراعهم ... وخستهم ... وتناحرهم على السلطة أكبر عائق أمامى للقيام بكل مشروعاتى فى البناء والإصلاح ... أما أسطورة إبنك الذى تتهمنى بقتله ... فأنا برىء من هذا ... صحيح أننا إختلفنا معاً لأسباب تعلمها أنت ... ولكننى أبداً ما حرضت على قتل ولدك ... ثم ما هو دليلك على ذلك ؟

« يصمت الجبرتى ولا يجيب »

فاروق : يا قوم ... أنتم تلومون جدى الأكبر على أفعال ... إذا قورنت بما أرتكبه ما يسميهم البعض بالثوار أو الوطنيين فى القرن العشرين لتضاءل حجمها أمام هول ما أرتكبوه .

سعد زغلول : بمن تعنى بالثوار والوطنيين ؟

فاروق : اقصدك أنت وعرابى والنحاس وعبد الناصر الذى حاربنى فى دنيانا الأولى ... وحرض على إنتقالى إلى عالمنا هذا .

سعد زغلول : معذرة ... أرجو ألا تضعنى فى كفة واحدة مع عبد الناصر ... فالبون بيننا جد شاسع ... فلقد قمت بثورتى وبرفقتى الشعب كله ... ولا أقول لك اسأل النحاس أو مكرم عبيد ... بل أسأل والدك الصامت (بسخرية) ... لقد كان لنا حزب ... وكانت لنا مبادىء ... وأمامنا قضية . أما عبد الناصر الذى أتهمنى ـــ فى ميثاقه ـــ بأننى ركبت موجة ثورة ١٩ ... فلقد أشترك فى قيادة الحركة التى أنزلتك من على عرشك معتمداً على قوة الجيش ... وهو خاوى الوفاض من أى فكر أو نظرية تقود الحركة وتوجهها ... ثم يا أخى ـــ وهذا ليس محض إدعاء ـــ إن ما حققته بعد قيادتى للثورة ... أضحى أحد علامات النضال فى تاريخنا المصرى ... فيكفى دستور ١٩٢٣ ـــ رغم بعض التحفظات عليه ـــ ويكفى اجراء أول إنتخابات حزبية حرة ... وتأسيس أول برلمان منتخب عام ١٩٢٤ ثم قبل هذا وذاك يكفى أن المستعمر الانجليزى قد أدرك أن هناك ، شعباً على درجة عالية ... من النضج والوعى ... شعب لا يلين ... وأمه ليس من اليسير كسر شوكتها أو النيل من معنوياتها .

هيكل : ولكن أتسمح لى يا نبى الوطنية (يقولها بنغمة تجمع ما بين السخرية والإكبار المشوب برنة حزينة) إننا ـــ وعندما أقول إننا ـــ فإننى اقصد نحن الأمة المصرية ، بما فيها المعارضة التى كنا نمثلها ... إننا كنا

نجلّك غاية الإجلال ... ونعترف لك بزعامتك للأمه ونقر لك بعبقريتك الزعامية . صحيح نحن اختلفنا معك ـــ نحن المعارضة ـــ فى كثير من تفاصيل منهجك فى معالجة قضية الأمة المصرية وهى الاستقلال . ولكن ـــ يا سيدى ـــ نحن نعتب عليك موقفك منا ـــ نحن المعارضة ـــ واقصد بذلك **حزب الأحرار الدستوريين** وجريدته السياسة ... واقصد أيضا الصحفى النابغة أمين الرافعى وجريدته الأخبار ... ويكفى أن اذكر لك هذا حتى تستعيد شريط الذكريات التى لا أعتقد أنها غابت عن بالك ... لقد نكلت بنا يا سيدى ... وهاجمت صحفنا ... وأردت أن تخرس فينا ما كنا نؤمن به ... ومع ذلك كنا نفخر بك ... ونعتز بزعامتك ... أما نصيبنا منك فلم يكن إلا الإضطهاد ... والتنكيل .

سعد زغلول : (بإبتسامة خجلى ... ولكن لا تكشف عن ضعف أو وهن) إنك تبالغ يا هيكل ... صحيح نحن اختلفنا معاً ... وكان ينبغى أن نختلف ... و لاسيما ونحن كنا فى مجتمع حر نسبياً ... ولكن ما لا أوافقك عليه هو أننى حاولت أن أنكل بكم ... **أنتم المعارضة** ... قد تكون هناك ـــ حقيقة أخطاء ... ولكن بالله عليك ... ماذا يكون موقفى منكم بالمقارنة بما فعله عبد الناصر ... الذى وضعنى فاروق ـــ للأسف ـــ معه فى كفة واحدة ... إن ما فعله عبد الناصر بمعارضيه يعجز عن وصفه الخيال ... يكفى موقفه من الأخوان المسلمين . وتكفى المعتقلات التى فتحت للأبرياء قبل المذنبين ... ويكفى التعذيب ... ألم تأتك فى الدنيا قصة تعذيب زينب الغزالى الطاهرة

الطهور ؟ ألم يبلغك بها سيد قطب أحد ضحايا عبد الناصر ؟ ... ألم يصل إليك خبر القبض على مصطفى أمين الصحفى الذى مازال يدافع حتى الآن عن الحريات ؟ ... ألم يبلغك البعض كيف عذبه عبد الناصر ... ونكل به وأهان كرامته وأهدر إنسانيته ؟ أسألوا حمزه البسيونى ... هذا الذى نفذ كل ما أمره به سيده ومولاه ؟ ... ثم بعد ذلك يا هيكل تقول إننى نكلت بالمعارضة ... أين أنا مما فعله غيرى ... ثم (موجها حديثه إلى فاروق) إن وضعى مع كفة واحدة مع عبد الناصر لهو ظلم ... وأى ظلم لى .

« عندئذ يحاول عبد الناصر أن يتدخل بالحديث ... مستهدفاً رد على سعد زغلول مدافعاً عن نفسه ... إلا أن عبد الله النديم ... الجالس بجواره بالصدفة حاول أن يهدىء من روعه ... ونلاحظ أنه قد مال عليه يهمس فى أذنه ... ويبدو أنه يحاول أن يقنعه بعدم جدوى الرد على سعد ... وهنا يتدخل السيد الأفغانى قائلا :

الأفغانى : مهلاً يا سادة ... إننا ما اجتمعنا إلا للبحث عن مخرج للإنسان المصرى ... وعندما اتفقنا أن يقوم بعملية تقويم لما قدمناه وقدمتوه لهذا الإنسان ... لم نكن نقصد أن تصل بنا الأمور ... إلى هذا تد ... ومع ذلك إن أردتم فيما سميتموه بتحديد موقفكم من الإنسان لمصرى ... فلنستمر ... ولكن شريطة أن يكون هذا التقويم فى نطاق البحث عن أسباب أزمة الإنسان المصرى ومحاولة العثور على حل لها ... وهنا اسمحوا لى أن أعود إلى ما أثاره لطفى السيد ومحمد عبده

وغيرهما ... من أن أزمة الإنسان المصرى منذ الأزل تتبلور فى طبيعة علاقته بالسلطات الحاكمة ، أو أنها ... ـــ أى هذه الأزمة ـــ تتجسد فيما اسماه البعض **بشرعية السلطة** ... وأضيف أنا إلى ذلك ما يكمل ـــ فيما أظن ـــ أبعاد تلك القضية .

فإذا أردنا الدقة ـــ وهذا من واقع فهمى لتاريخ الإنسان المصرى ـــ استطيع أن أؤكد أن أزمة هذا الإنسان الحقيقية تتلخص فى كلمة واحدة هى (**الحرية**) . والحرية هنا ـــ كما تعلمون ـــ كلمة نسبية يختلف معناها من الحاكم عن المحكوم ... وبين الحكام بعضهم عن بعض كنتيجة لاختلاف فلسفة كل حاكم ومنهجه فى الحكم .

... وحتى الشعوب ـــ أيها الزملاء ـــ تختلف تصوراتها عن الحرية وتتباين مواقفها منها ... وهو أمر يرجع بصفة أساسية إلى **اختلاف درجات الوعى السياسى لدى تلك الشعوب** ... ومن المؤكد أن قضية الوعى السياسى هى أولاً وأخيراً **مسئولية السلطات الحاكمة** .

محمد على (بما يشبه الغيظ) : شرعية السلطة ... والحرية ... والوعى السياسى ... أرجو يا ساده أن تقربوا المفاهيم إلى أذهاننا .

محمد عبده : شرعية السلطة ... والحرية وما يرتبط بهما من قضايا هى مسائل أكد عليها **الإسلام** ... وهى **لوازم للحكم** لا غنى عنها .

مكرم عبيد : (**مندفعاً**) : ليس الإسلام وحده ! بل إن الفكر الإنسانى كله ، وتراث الشعوب التى تقدس الإنسان وتحترم آدميته ... كلها نادت بكل تلك المبادىء ... فأرجو المعذرة إن قلت إن تلك المبادىء

أو القضايا ليست قاصرة على دين دون غيره ... أو على فكر دون فكر آخر ... وبصرف النظر عن هذا ... فإننى أود أن أذكر الباشا محمد على أنه قد اختاره الشعب والياً على مصر **بإرادته** وأناب عنه فى ذلك مشايخ الأزهر وعلماءه ... فجاءت توليته بتلك الكيفية بصورة شرعية ... ولعل شيخنا الجليل **عمر مكرم** يتذكر هذا حيث كان له دور عظيم فى هذا الشأن .

عمر مكرم : حقا يا أخى لقد حدث كل هذا ... ولكن ويا للأسف لقد تناسى الباشا كل هذا ... واضطهد شعبه ... ولعلنا نتذكر جميعا ما قاله المؤرخ الانجليزى إدوارد لين الذى عاصر عهد الباشا الذى قال ما معناه **إنه بإشارة واحدة من يد الباشا تطير الرؤوس** ... إننا ياساده نحن الشعب المصرى . كنا دائما ضحايا لحكامنا ... يالنا من شعب صبور .

« وهنا يتشجع أحمد عرابى الذى ظل فترة طويلة مؤثراً الصمت ... مستمعاً للجميع ، إلا أنه كسر حاجز صمته قائلاً :

أحمد عرابى : حقا أيها الزملاء ... نحن شعب كان ولا يزال يبحث عن الحرية ... وما كنا نحن الثوار إلا ملحمة تكشف فى مضمونها **عن تعطش هذه الأمة إلى الحرية .**

الأفغانى : أن كفاحكم يا ثوار مصر فى سبيل الحرية أمر من العسير إنكاره ... ولكن ألست معى يا عرابى ـــ وهذا أمر يؤسف له ـــ أنه عندما ما أتيحت لك السلطة نكلت بكثير من الصحف المعارضة لك ... بل أغلقت الكثير منها ... وهذا ما كان يتناقض مع كثير مما

ناديت به وكافحت من أجله .

عرابى (بأسى واضح) : حتى أنت يا شيخنا العظيم لم تنصفنى ... لقد أتهمنى البعض بالكثير ولم أجد فى حياتى من ينصفنى ... حتى من ناصرونى حيناً أنقلبوا علىَّ .. إلا بعض المؤرخين المنصفين . (**ثم بأسى أكثر**) حتى أنت يا سيدى ... ويا معلمى الأول !!

الأفغانى : أنا ياعرابى لا أقلل أبداً من شأن دورك الوطنى العظيم ... ولكن لا تنسى أن لك أخطاء ... ولكن على العموم إن حسناتك قد تجاوزت أخطاءك بكثير ... فأنت وطنى تتميز بغيرتك الشديدة على وطنك ... ولكن لا تغضب إن قلت لك إن الخبرة والدراية كانتا تنقصانك ... **والسياسة والحكم ... علم وفن وخبرة ... وحكمة .**

عرابى : يا سيدى أنا معترف بنقص خبرتى ... ولكن لا تنسى خيانة البعض ... فتحملت أنا وحدى وزر ذلك ... واسأل الشيخ محمد عبده وعبد الله النديم ... ولكن مع ذلك فأنا اعتبر كلامك يا أستاذنا العظيم اعظم شهادة لى ... وأؤكد لك مرة أخرىٰ حرصى على الحرية ... بدليل محاولاتى للحصول على الدستور ... وتغيير الوزارة فأنا ـــ ياسيدى ـــ ما فرطت فى الحرية أبداً .

مصطفى النحاس.: يا عرابى ... يكفى إنك القائل فى موقفك المشهود بعابدين ما معناه بأننا لسنا عبيداً ولن نستعبد أو نورث بعد اليوم ... إن لك مواقفك الوطنية العظيمة ... ولست بظان أن هناك من المنصفين العقلاء من ينكر عليك وطنيتك ... أما أخطاؤك فلقد اعترفت أنت بها ... **ولكن من منا بلا أخطاء ؟؟**

محمد حسين هيكل : نعود لشرعية السلطة وفكرة الحرية التى يعتبرها البعض منا سر نكبة الإنسان المصرى على مر العصور ... وأنا اعتبرهما كذلك ... مؤيداً فى ذلك زملائى ... وإضافة استاذنا الأفغانى الخاصة بنسبية الوعى السياسى للشعوب .

أحمد فؤاد (يتقدم بجرأة غير متوقعة ، وهو الصامت طوال الجلسة) : أعتقد إنكم لا تستطيعون إنكار حقيقة ما قدمته لمصر من حرية ... ويكفى دستور عام ١٩٢٣ وبرلمان عام ١٩٢٤ ... ويكفى أننى وافقت على تعيين سعد زغلول كأول رئيس للوزراء منتخب ... فهذه حقائق لا أعتقد أن هناك من يجرؤ على أن يكابر فيها ؟

سعد زغلول : (**بهدوء متعمد**) : أنا لن انفعل ... ولن تستطيع أن تستثيرنى ... ولكنى سأواجهك بالحقائق ... أولا ماهى قصة دستور عام ١٩٢٣ ... وكيف تخلق ؟ ومن هم الذين تولوا أمر صياغته واصداره ... ثم ما هو موقفك منه ؟ هل تستطيع يا فؤاد أن تجيبنى على تلك الأسئلة ؟ وها هو الدكتور هيكل أحد شهود هذه الوقائع وأسألوه كيف ماطل ـــ أيها الزملاء ـــ فى اصدار الدستور ، وكيف إحتج على كثير من بنوده ... وخصوصا بعض البنود التى كانت تحد من سلطاته ، وتعين حقوقه وواجباته ... وكيف أصر على اعتباره منحة منه رغم أنه يعلم جيداً أنه نتيجة طبيعية لكفاح الشعب المصرى فى ثورة عام ١٩١٩ .

صحيح أننى تبينت بعد ذلك أن مزايا هذا الدستور تفوق كثيراً مساوئه ... فعملت به ... ولكنك كنت دائماً تحاربنى وتحاول أن تعرقل

العمل بالدستور ... ثم دعنا من هذا كله ... هل يمكن أن تؤكد لنا أو تبرهن لنا على موقفك المشرف هذا من قضية الحرية كما تدعى ؟ ! أنت يا فؤاد آخر من يتحدث عن الحرية ؟

« **يحاول فاروق أن يتدخل مدافعاً عن والده ... إلا أن فؤاد يسكته ثم يقول بإنفعال شديد :**

فؤاد : أنت يا سعد تستشهد بهيكل ... إذن أسألوا أيها الزملاء هيكل ... ماذا فعل به سعد وكيف نكل بصحيفته ؟ ... أسألوا **أمين الرافعى ... وأسألوا عدلى يكن وأسألوا عبد الرحمن الرافعى** كيف أخرس سعد كل رأى معارض له ؟ ... وكيف أجهض كل فكر يخالف لفكره ؟ ... أتلك هى الحرية التى يتحدث عنها ؟ ... من منا بالله عليكم تجنى عليها ؟ ... ثم استحلفكم بالله أن تذكروا لى ما الذى جناه الشعب ... وجنته الأمة المصرية من جراء حكم سعد ... ووزارة سعد ؟

« **وهنا يندفع سعد متجاوزاً هويته الهادئه وطبيعته المتزنة محاولاً الرد على فؤاد ... إلا أن السيد الأفغانى يتدخل مانعاً إياه ... معطياً الكلمة للشيخ على عبد الرازق :**

الشيخ على عبد الرازق : أولا ــ يا فؤاد ــ لا تنسى أن حكومة سعد لم تستمر سوى عشرة أشهر وسقطت ــ وأنت خير العالمين ــ بأسباب ذلك ... اتنسى تآمرك وتآمر الانجليز عليه ... ثم يا فؤاد (**يقولها بتأكيد لافت للنظر**) يبدو أنه ينبغى أن نتفق أولا على معنى الحرية .

فؤاد (**بسخرية**) : نعم يا صاحب بدعة الإسلام وأصول الحكم .

الشيخ على عبد الرازق : ها أنت تذكر ما لا أود أن أذكره حتى لا يسوء

موقفك أكثر من ذلك ... ومع ذلك أن ما تذكره هو إدانة صريحة لك ... ولموقفك من الحرية ... وخاصة حرية الرأى ... لقد سولت لك نفسك أن تصادر فكرى ... ولكننى وجدت من ينصرنى (مشيراً إلى هيكل) ... ثم ألا تخجل بعد ذلك يا فؤاد من أن تتحدث عن الحرية ... ثم بالله عليك ... **ما هى الحرية فيما ترى يا فؤاد ؟**

فؤاد (**منفعلاً**) : الملك فؤاد من فضلك ؟

الأفغانى (**متدخلاً**) : يا فؤاد ... دعنا من كل هذه الشكليات واترك أمور الدنيا للدنيا ... فنحن فى عالم آخر ... حيث تلغى الفوارق وتتلاشى الحدود وينتهى زمن الألقاب ... وحيث لا فرق بين حاكم ومحكوم ... ومع ذلك نعود إلى لب القضية ... واعنى **قضية الحرية** ... ولعل ما أشار إليه الشيخ على عبد الرازق قد حدد لنا بداية الطريق وبالذات عندما ناقش **الحرية فى مضمونها السياسى باعتبارها مفتاح كل الحريات** ... الأمر الذى يجعلنا نتساءل — فى ضوء المضمون السياسى للحرية — ما هى حقوق كل من الحاكم والمحكوم ؟ وكيف تستقيم علاقة الحاكم بالمحكوم ؟ وما هى الصيغة التى تضمن للمحكومين حقوقهم ... وتحقق له إنسانيتهم ؟ كل هذه التساؤلات وتلك القضايا ينبغى أن نجد إجابة عنها حتى نستطيع أن **نصل إلى جوهر أزمة الإنسان المصرى ؟**

توفيق (**باستياء**) : أنتم تتحدثون عن أفكار غيبية ... لا سند لها فى الواقع .

لطفى السيد (**بهدوء يكشف عن ثقة متناهية فى النفس**) : من

الطبيعى يا توفيق أن تكون الحرية بالنسبة لك ولغيرك أفكاراً غيبية ... وغير واقعية ... إلا أن هذا لا ينفى أنها **حقيقة** ... اعترفت بها ــ بل ومارستها ــ كثير من الأمم الرشيدة كانجلترا وفرنسا وأمريكا ... ثم قبل هذا وذاك أنها حقيقة أقرتاه الرسلات السماوية ... وفى مقدمتها الإسلام .

مكرم عبيد (**بغضب وإن حاول إخفاءه**) : إن الفكر الإنسانى كله ــ أيها الزملاء ــ قد دعا إلى الحرية وأكد على العدالة كقيمة إنسانية كبرى ... وليس الإسلام وحده ... أليس كذلك ؟

الشيخ على عبد الرازق : ولكن لا تنسى يا مكرم أن الفكر الإنسانى مثلما تضمن إشارات إلى الحرية والعدالة وكل القيم الإنسانية النبيلة ... تضمن أيضا **أفكاراً فوضويه** وأخرى **فاشستية** ... أما الإسلام فلم يكن مضمونه فى الواقع إلا تعبيراً عن حرية الإنسان وتقديساً لها ... وتأكيداً على القيم الخيرة فيه ... وإذا أردنا أن نختزل الإسلام فى كلمة نقول « **إنه الدين الذى أحترم إنسانية الإنسان** » وعموما يا مكرم إن جميع الأديان السماوية ... لم تكن فى الحقيقة إلا لخير الإنسان ... والآن أيها الزملاء ينبغى أن نحدد ما نعنيه بالحرية ... وهنا أقصد ــ على وجه الخصوص ــ وكما قال أستاذنا الأفغانى ... الحرية السياسية ... لأنها (**أم الحريات**) ... فهاتوا ما عندكم !

عمر مكرم : حسب فهمى المحدود للحرية ... هى فيما أتصور أن أقول الحق ــ دون أن أخشى لومة لائم ... وبالنسبة للسياسة أن نكون ــ نحن الشعب ــ شركاء فى الحكم ... وأن يتم إختيار حكامنا

بإرداتنا ... مثلما فعلنا مع محمد على باشا ١٨٠٥ حينما وليناه مصر بشروطنا ... نحن الشعب ... تلك هى الحرية كما أتصورها .

عبد الله النديم (مبدياً إرتياحه لما قاله عمر مكرم بتعبيرات من وجهه) : صدقت يا شيخنا الجليل ... فتلك هى الحرية فى معناها الحقيقى ... أن يكون الشعب سيداً ... وأن يمتلك إرادته .

سعد زغلول : هذا حق يا نديم ... فعندما تسلب إرادة الإنسان تصبح الحرية شيئا أجوف لا معنى له ... لأن الحرية هى الإرادة ... وما أكثر المناسبات والمواقف التى زورت فيها إرادة الإنسان المصرى ... وهى المناسبات والمواقف التى كانت بمثابة **حفلات تأبين لاستشهاد الحرية** .

« وهنا يتقدم جمال عبد الناصر بثقة متناهيه أثارت انتباه الجميع »

جمال عبد الناصر : الحرية السياسية يا سادة مرتبطة بالعدالة الاقتصادية والاجتماعية ... وهذا ما كنت أؤكده دائما فى خطبى وأحاديثى وتصريحاتى ... حيث لا حرية حقيقية ... بل لا حرية على الإطلاق دون توزيع عادل للثروة .

الشيخ محمد عبده : معذرة يا أخ جمال ... إن قلت لك ... إن هذا هو المدخل الديكتاتورى لحكم الشعوب ... حيث **يتذرع الحكام بالعدالة** ... وبتحقيق الرفاهية لشعوبهم ... ثم **يكممون أفواههم** ... ويسلبونهم إرادتهم ... ولعل تاريخ الأمم والشعوب يشهد على ذلك ... فهذا **مصطفى كمال أتاتورك** وذاك **هتلر** ... و**موسيلينى** وغيرهم من النماذج التى لا يرقى إليها الشك فى كيفية إيهام الشعوب بفكرة تحقيق

مجتمع الرفاهية ... المجتمع العادل ... متناسين أن الرفاهية ... والعدالة لا يمكن أن يتحقق أى منهما فى غفلة من الحرية ... **لأن الحرية هى المدخل المنطقى ... والطبيعى لتأسيس المجتمع العادل ... مجتمع الرفاهية** ... حتى أنت يا عبد الناصر عصفت بحرية شعبك باسم العدالة ... وجردته من إنسانيته باسم تحقيق مجتمع الرفاهية ... ومازالت ــ ويا للأسف ــ هذه النغمة سائدة لدى كثير من الأمم والشعوب .

جمال عبد الناصر : (باندفاع وإنفعال شديدين) : مهلاً ياسيدى ... إنك تلوى عنق الحقائق ... وأنا لن أعدد لك أفضالى على المجتمع المصرى ... وإنما يكفى أن أذكر لك بعض انجازاتى كقوانين الاصلاح الزراعى والسد العالى ثم التأميم والتصنيع ... إلى آخر إنجازاتى التى لا تعد ولا تحصى .

مصطفى النحاس : (بتهكم واضح) ولا تنسى أيضا حربى ٥٦ ، ١٩٦٧ وغزو اليمن ... إنها مفاخر لا ينبغى أن تتجاهل (ثم بحده) إنك لا تخجل يا أخى ... يكفى أن الانسان المصرى ــ الإنسان الحرية والكرامة ــ لم يعان فى تاريخه الطويل مثلما عانى أثناء حكمك الميمون ... !!

جمال عبد الناصر (**بحدة أكثر**) : أتتهكم يا صاحب مهزلة ٤ فبراير ؟

مصطفى النحاس : (بهدوء لا يتناسب مع حدة الموقف) لولا قبولى الوزارة فى ٤ فبراير لكانت مصر فى خبر كان ووقعت مصر فى براثن الاحتلال الألمانى ... لقد عشقنا مصر ... وعملنا من أجل مصر حيث كان بعضنا ما زال فى المهد ... وأسألوا زعيمنا سعد نبى الوطنية ...

وأسألوا لطفى السيد ومكرم عبيد والعقاد رغم إختلافنا أحيانا على خطة العمل الوطنى ... ولكن كان يجمعنا دائما أمر هام هو عشقنا لمصر ... وإيماننا بضرورة بل وحتمية خلاصها من ظلم المستعمر وجبروت المحتل ؟ فماذا فعلتم أنتم لمصر ؟؟ !

محمد على : كنت لا أود أيها الزملاء أن أتدخل فى حديثكم .. لولا إنكم تحدثتم عن أفضال البعض على مصر ... فأنا أولا مع عبد الناصر فى ضرورة تحقيق مجتمع الرفاهية ... مجتمع العدالة ... أما ما تسمونه بالحرية فهو أمر يمكن أن يأتى بعد ذلك ... ثم ...

لطفى السيد (مقاطعاً محمد على) : إنك بذلك تؤكد ما أشار إليه الشيخ محمد عبده من أن سمات الحكم الديكتاتورى الأوتوقراطى هى التذرع بفكرة العدالة .

محمد على (مندهشا) : الأوتوقراطى ؟ !! أرجو يا أخى أن تتحدث بلغة نفهمها ؟؟ ! ... ومع ذلك أرجو أن تدعنى أكمل حديثى ... فمثلا بالنسبة لقضية الفلاح المصرى والأرض الزراعية ... أود أن أشير إلى مجموعة من الحقائق ... **الحقيقة الأولى** هى أننى أنهيت كلية ذلك الأخطبوط المسمى بنظام الإلتزام ... **والحقيقة الثانية** هى أننى شيدت القناطر الخيرية وأصلحت آلاف الأفدنة ... والتى عجز الحكام الذين توالوا بعدى ... وحتى ما بعد الخمسينات من القرن العشرين أن يصنعوا **رُبع** ما صنعته أنا للأرض الزراعية ... بل إن هذه الأرض حسبما سمعت قد تناقص حجمها وإنتاجيتها حتى بعد هذه البدعة التى سميت بالسد العالى ... أما **الحقيقة الثالثة** فتتعلق بتوزيعى للأراضى الزراعية

على عدد كبير الفلاحين المعدمين ... وأخيرا **الحقيقة الرابعة** : وهى تتعلق بإدخالى **زراعة القطن** فى مصر ... والتى عادت بالخير الوفير على مصر وعلى الفلاح المصرى ... إن ما جنته مصر وفلاحوها فى عهدى من الجحود أن ينكره أحد ... وقارنوا — أيها الزملاء — فى ذلك بين عهدى وعهد عبد الناصر ... الذى تولى الحكم بعدى بحوالى قرن من الزمان .

جمال عبد الناصر : (**بحدة**) : أنتم يا آل عثمان ما عشتم إلا لأنفسكم !

إسماعيل (**مبتسماً**) : إذا كنا نحن آل عثمان قد عشنا لأنفسنا ... فماذا فعلت يا عبد الناصر أنت وحواريوك لأهلك وعشيرتك وبنى وطنك من أبناء مصر ؟ أننى لا أريد أن أذكرك بما ذكرك به النحاس وخاصة عندما ورطت أمتك فى حروب لا ناقة لها فيها ولا جمل ... حروب أتت على الأخضر واليابس ... حروب مازال الشعب المصرى يعانى منها حتى الآن ... ألا تتذكر يا عبد الناصر التنكيل بخصومك ؟ أو بمن توهمت أنهم خصومك ؟ ألا تخجل يا رجل ؟!

فاروق : أنت يا عبد الناصر ... تتحدث مع جدنا الأكبر محمد على **وكأنك ند له** فما كنت ... ولن تكون أبداً نداً له ... إن أخطاءه ... بل إن أخطاءنا جميعاً — إن كانت لنا أخطاء — (وهنا تسرى همهمه بين الحاضرين) لا تساوى ذرة مما أرتكبته أنت فى حق الإنسان المصرى ... أليس كذلك يا جمال ؟

« وهنا يتدخل الأفغانى قبل أن يهم عبد الناصر فى الرد على فاروق ... حيث قال :

الأفغانى : مهلاً يا سادة ... ورفقاً بالرجل ... فإنكم جميعاً — أو على

الأقل الأغلبية منكم ـــ قد تماثلتم فى إهداركم لكرامة الإنسان المصرى وفى سلبكم لأعز ما يملك وهو الحرية ... ومعذرة إن قلت إن غالبيتكم أصحاب سلطة بلا سند أو شرعيه وإن حاول البعض (ناظراً إلى عبد الناصر) أن يتوهم وجود هذا السند وتلك الشرعية ... **إن مأساة الشعب المصرى تكمن فى عدم شرعية السلطات التى كانت تحكمه** ... وهى الشرعية التى لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال **إرادة الجماهير** ... ومن المؤكد أن إحترام إرادة الجماهير لا يمكن بدورها أن تتحقق دون توفر الحرية التى مازال البعض منكم مختلفاً فى تحديد معناها وتعيين ماهيتها .

جمال عبد الناصر : عموما يا سيدى إن ما أشار إليه البعض متصوراً أنه من سلبياتى لم يكن فى الواقع إلا تأميناً لثورتى ... وحماية لأمن شعبى .

الجبرتى (وقد فاض به الكيل مما قاله عبد الناصر) : يابنى ... كيف يكون التنكيل بالشعب حماية له وتأميناً لثورته ... يا بنى قل كلاماً يتقبله المنطق والعقل ... على حد علمى يا جمال أنك ذبحت الحرية ... **وذبح الحرية ... أمر لا تغفره الشعوب أبداً** .

جمال عبد الناصر : يا شيخنا الجليل ... أية حرية تتحدث عنها ؟ أية **حرية تجدى مع مثل هذا الشعب المتخلف ؟!**

اسماعيل وتوفيق وفاروق : (فى صوت واحد) : لأول مرة نتفق مع عبد الناصر ... **حقيقة لا حرية للشعوب المتخلفة** .

لطفى السيد (بثقة العالم وعظمة الفيلسوف) : هذه ذريعة أخرى لأصحاب المنهج الديكتاتورى فى الحكم ... الأولى كانت **تحقيق**

العدالة والرفاهية ... وها هى الذريعة الثانية **التخلف** ... **ألا تدرون** أيها السادة **أن علة التخلف هى الديكتاتورية وحكم الشعوب بالحديد والنار** ؟ ألا تدرون أيها الزملاء أن سبب تخلف الأمم يرجع إلى **الافتقار إلى الحرية وإلى سلب إرادة الشعوب** ؟

عبد النديم : صدقت يا سيدى ... إن الشعوب ما هى إلا أبناء تحتاج إلى رعاية وتربية ... والأبناء على حسب ما ينشئهم آباؤهم ... ولكن ــ وهذا موضع العجب ــ نجد أنه لأول مرة **يحق للأبناء إختيار آبائهم** ، وأعنى بهم الحكام ... ولكن ــ ويالالأسف ــ كثيرا ما ينحرف الآباء فيورثون أبناءهم الخيبة والمرارة والتخلف ... وهكذا الحكام فى علاقتهم بشعوبهم ... **إذا إنحرف الحكام فقل على الشعوب السلام** ... وما أقصده بانحراف الحكام ... هو عندما يتخذون من الديكتاتورية منهجاً ومن الفردية فى الحكم أسلوباً وأقسى من هذا وذاك هو **عبادة الفرد** ... والفرد هنا أعنى به **الحاكم الديكتاتور** ... **فهو** المسئول وحده عن تخلف شعبه ... **فليس هناك إذن شعب متخلف بطبيعته** ... وإنما القضية تكمن فى منهج الحكم ... والتخلف دائما ــ وكما ينبئنا التاريخ ــ مرتبط بالديكتاتورية ... فكلام عبد الناصر واسماعيل وتوفيق وفاروق مردود عليه إذن ... فالإدعاء بأن الشعوب المتخلفة لا تجدى معها الحرية هو إدعاء ــ ومعذرة إن قلت هذا ــ كاذب ... ودعوى صريحة للحكم الديكتاتورى ... وتبرير أجوف للتسلط والنزعة غير الإنسانية فى الحكم .

محمد حسين هيكل : هكذا دائما أنت يا نديم ... واسع الأفق ...

مدرك بحق لأبعاد السياسة والاجتماع ... وحقا ما قلت ... فإن الحكام هم المسئولون عن تخلف شعوبهم ... بل إنه من المؤكد أن مظاهر الرقى والتقدم مرتبطة دائما بالحرية والديمقراطية ... **وإحترام ذات الإنسان** ... ولعل الشعوب جميعها ... وبتاريخها الطويل أعظم شاهد على ما أقول ... وعلينا أن نستقرىء حال الأمم فى الآونة الحاضرة ... ونقارن بين أمم تحكمها الديكتاتوريه ... وأخرى تقودها الحرية وتوجهها الديمقراطية لنرى أى هذه الشعوب أكثر تقدماً ... وأيها أقرب إلى التخلف ؟؟

الأفغانى : الحق ما قاله النديم وهيكل ... وأضيف عليها أننا إذا أردنا أن نقيل الشعوب من عثراتها أن نمنحها الحرية ... والحرية (بدون قيد أو شرط) ... وهذا هو جوهر خلافى الدائم مع السلاطين والملوك .

لطفى السيد : ولكن معذرة ... يا سيدى ... فأنا معك فى كل ماقلته ولكن ما اختلف فيه هو لفظ (بدون قيد أو شرط) ... فلا شك أن الحرية هى بمثابة الروح للجسد بالنسبة للشعوب ... وهو أمر لا نختلف عليه ... ولكن الحرية ... فيما أرى ـــ ينبغى أن تعطى للشعوب تدريجياً ... وليس دفعة واحدة ... بمعنى أن تعطى بحساب ... بحيث تدرب على ممارستها ... حتى لا تصاب بتخمة بعد طول جوع .

الأفغانى : أخشى يا لطفى أن يفهم من كلامك هذا إنك تدعم ما يروجوه أصحاب النزعة الديكتاتورية فى الحكم عندما **يتذرعون بفكرة التدرج فى منح الحرية** .

لطفى السيد : أنت تعلم يا سيدى أننى من أكثر المشايعين **لليبراليه**

والتى أسميتها مذهب الحريين ... فالحرية عقيدة من عقائدى ... لا أحيد عنها أبداً ... وإن كنت أومن بالتدرج بالنسبة لمنح الحياة البرلمانية ... وإن كان هذا لا ينفى شدة ولائى — بل تحيزى — للحرية .

مكرم عبيد : الهدف أيها الزملاء واحد سواء أكانت الحرية دفعة واحدة ... أو منحت بحساب وبقدر ... المهم أنها مطلب أساسى للشعوب ... ولا غنى عنها للتقدم ... وهذا يؤكد – كما أشرنا – أن الشعب المصرى لم يكن ليقع فى دائرة الشعوب المتخلفة لولا علاقته المتوتره – عبر التاريخ – بحكامه ... ولولا عدم شرعية غالبية السلطات ... ولولا سيادة النزعة الديكتاتوريه ... **فالدكتاتورية — أيها الزملاء — هى خالقة التخلف** .

الأفغانى : إذن ما قاله توفيق ... وفاروق وقبلهما إسماعيل تصديقاً لكلام عبد الناصر من أنه (**لا حرية للشعوب المتخلفة**) وردود الزملاء عليهم ... يجعلنا نتساءل ألم يحن الوقت بعد لكى يدرك **الحكام سر مأساة شعوبهم** ؟ إذا شعروا حقا أنها مأساة !! ؟

عمر مكرم : أأفهم من ذلك أيها الزملاء — وكما قال النديم — أن السلطات الحاكمة لم تشأ — منذ الأزل — أن تعود الإنسان المصرى على ممارسة الحرية . وإذا كان البعض يتصور أن الإنسان المصرى **كان بلا موقف أحيانا** ... فما أريد أن أؤكده أن هذا الإنسان هو صاحب ثورة القاهرة الأولى والثانية أثناء الحملة الفرنسية على مصر وهو قبل ذلك صاحب المواقف المشرفة ضد المماليك وعنجهية وصلف الأتراك ... ثم هو صاحب الثورة العرابية الشريفة وثورة عام ١٩١٩ التى هزت الشرق

كله ... فالإنسان المصرى كان دائما مجنياً عليه ... **والمسئولية أولاً وأخيراً كانت تقع على عاتق السلطات الحاكمة** ... فهذه حقيقة ينبغى أن نعترف بها جميعاً .

عبد الله النديم : وعلى ذكر المسئولية ... لا تنسى يا سيدى (**الصحافة**) فالصحافة ـــ كما نعلم ـــ لها دور خطير فى تربية الشعوب وتوجيه الأمم .

لطفى السيد : حقا يا سيدى أن للصحافة دوراً عظيماً فى توجيه (الرأى العام) وتربية النفس والعقل ... **ولكن هل تستطيع الصحافة أن تضطلع بدورها بلا حرية . ؟**

« وهنا يتدخل إسماعيل فى الحديث بصورة غير متوقعة قائلاً :

إسماعيل : طبعاً يا سادة لا يستطيع أحد أن يكابر أو ينكر أن الصحافة المصرية لم تزدهر يوماً مثلما أزدهرت فى عهدى ... وأسألوا النديم ... وأسألوا يعقوب صنوع وغيرهما ... ثم لا تنسوا أن الإنسان المصرى كان يستقبل يومه بعشرات من الصحف .

عبد الله النديم (بتهكم) : ولا ننسى أيضا تنكيلك بالصحف التى لم تكن تسبح بحمدك .!

توفيق : يا نديم ... يكفى إنكم كنتم أحراراً فى أن تصدروا ما تشاءون من الصحف ... وتكتبون ما يحلو لكم من الأفكار والآراء .

عبد الله النديم : ولكنكم سرعان ما كنتم تصادرون صحفنا وتحجرون على أفكارنا ... وأسألوا فى ذلك أستاذنا الأفغانى والشيخ محمد عبده صاحبى العروة الوثقى ... ثم أنسيتم مواقفكم من صحافتى أنا

بالذات ؟ أنسيتم موقفكم من صحيفتى الأستاذ والطائف ... إن مواقفكم إزاء صحافتى هى إدانة حقيقية لموقفكم من قضية الحرية .

إسماعيل : إنك تتجنى يا نديم ... أين صحافة عهودنا التى يصفها البعض **بأنها عهود بائدة** بصحافة القرن العشرين فى مصر ... ولا سيما صحافة ما بعد الخمسينات ... هل تسمون هذه صحافة ؟

جمال عبد الناصر : (يفاجىء الجميع وكأنه يخطب فى إحدى المناسبات الوطنية) : إن صحافة ما بعد الخمسينات فى القرن العشرين هى أول صحافة وطنية مصرية . بمعنى الكلمة ... وهى الصحافة التى استطاعت بالفعل أن تكون تعبيراً عن آلام الإنسان المصرى وآماله ... صحافة تحررت من الضغوط الحزبية وقيود رأس المال الخاص ... صحافة آلت على نفسها إلا أن تكون لخير مصر ومستقبل مصر ... أليست هى صحافة الثورة يا سادة ؟؟

الأفغانى : يا أخ جمال ... يا أخ جمال كفانا هذه الخطب المنبرية ... نحن فى عالم آخر ... عالم الحق والحقيقة ... ثم قل لى بالله عليك أتسمى صحافة عصرك بصحافة ؟ هل هناك صحافة حقيقية (**بلا حرية**) ؟ للأسف يا أخى ... إن صحافة عهدك لم **تكن إلا صحافة السلطة** ... صحافتك أنت ... لقد فقدت الصحافة فى عهدك كل فاعليتها ... وأضحت كالمنشور أو البيان الخالى من المضمون أو المعنى . الصحافة الحقيقية يا عزيزى هى صحافة كل الناس ... كل الآراء ... **هى الصحافة التى يتنوع فيها الفكر وتتعدد من خلالها الآراء والاتجاهات ... الصحافة الحقيقية هى الصحافة التى عندما**

يرى فيها الحاكم فكراً مخالفاً لفكره لا يضيق بها ولا ينكل بصاحب الفكر المخالف ... إن الرأى الآخر ... والرأى المعارض هو الضوء الذى ينير للحاكم أخاديد الطريق ... فأين صحافتك إذن من هذا كله ؟ ولكن معذرة ... يا أخ جمال كيف نطالبك بصحافة حرة ... ولم تكن الحرية أمراً وارداً فى حكمك ؟؟ فمعذرة مرة أخرى إن طالبناك بأمر من العسير أن يتحقق برؤيتك الذاتية فى الحكم ؟

جمال عبد الناصر : هل كنا نترك الصحافة لأعداء الشعب ... ينفثون فيها سمومهم ؟

محمد حسين هيكل : أعدت مرة أخرى للخطابة يا جمال ؟ ثم من هم أعداء الشعب ؟ إن أعداء الشعب صيغة روجها البعض تأكيداً لديكتاتوريته ... إن الأمم الحرة لا تعرف الحجر على الفكر ... ثم ألم تقرأ ... أو على الأقل ألم تسمع ... موقفنا ... وموقف صحيفة السياسة من قضية الشعر الجاهلى للدكتور طه حسين وقضية الإسلام وأصول الحكم للشيخ على عبد الرازق ... ألم تقرأ كيف ناصرنا الرجلين تأكيداً لحرية الفكر ... ووقفنا موقفاً معادياً للحكومة ولغيرها (ناظراً إلى فؤاد) ... إن الصحافة الحرة يا أخى لا تخشى شيئا إلا الله والشعب ... فأين أنت يا أخ جمال من هذا كله ؟

عبد الله النديم : إن ما جناه عبد الناصر على الصحافة لو قارناه بما فعله معنا إسماعيل وتوفيق لرجحت كفتهما ... يبدو أننا كنا فى جنة لم نشعر بها ... وما أتعس صحافيى الربع الأخير من القرن العشرين ... إنى أرثى لحالهم !

إسماعيل وتوفيق (فى صوت واحد) : ها أنت أخيراً قد إعترفت يا نديم بفضلنا .

عبد الله النديم : إن فضلك أنت يا إسماعيل بالذات لا ينكر ... لولا الديون ونزعتك غير الديمقراطية فى الحكم ... ولكن معذرة ... إن عهدك لم يعط الصحافة حريتها كاملة ... ولكننى أتحدث هنا فقط ... بالمقارنة بعصر عبد الناصر .

سعد زغلول : لا تنسى يا نديم أن هناك فى زمنك ... وفى الزمن الذى تلاه صحفاً ... كانت موالية للسلطة ... ثم ألم يصلك خبر الشيخ حمزه فتح الله صاحب جريدة البرهان الذى كان بمثابة المتحدث الرسمى باسم توفيق (سعد موجهاً حديثه لتوفيق ... أرجو ألا تؤاخذنى يا توفيق فهذه حقائق) ... لقد كان هذا الرجل ــ سامحه الله ــ من أكثر المشايعين للنزعة التسلطية فى الحكم ، وأكثر المعارضين لنظام الشورى كأسلوب للحكم ... ويكفى أنه القائل مادحاً (وجه توفيق) بأن فيه ــ أى فى وجهه ــ « **ما يجذب إلى التسبيح الأفواه لا سيما إذا ترقرق ماء البشر فى عزته ... وتفتق نور المجد من أسرته** » ... نفاق ما بعده نفاق ... ثم يا نديم أتنسى قانون المطبوعات الذى صدر عام ١٨٨١ الذى أريد به الحجر على حرية الصحافة ... ومع ذلك يا نديم فأنا أعترف معك أنه على الرغم من ذلك كله فلقد أزدهرت الصحافة فى تلك الآونة لا سيما الفكر الصحفى الحر غير المهادن ... الذى مثلته أنت ويعقوب صنوع ... وقبل هذا وذاك محاولات أستاذنا الأفغانى والشيخ محمد عبده .

« تلى كلمة سعد زغلول فترة صمت ... ويبدو أن الجميع قد أرهقته المناقشات ... وأتعبته المساجلات والمحاورات ... وهنا يتقدم الشيخ عبد الرحمن الجبرتى الذى يبدو أنه أكثرهم إرهاقاً وتعباً على قلة كلامه :

عبد الرحمن الجبرتى : (بصوت مشروخ يكشف عن ضعف ووهن) : يا قوم ... ألم يحن الوقت بعد لكي نلتقط أنفاسنا فنستريح قليلاً ... حتي نستطيع أن نفكر بعقل صاف ... وبروح يقظ ... فهلاَّ نستريح قليلاً ؟؟

« ويبدو أن دعوة الجبرتى لإلتقاط الأنفاس قد وجدت صدى لها واستجابة سريعة من المجتمعين ، وهو ما أكده الأفغانى حينما قال :

جمال الأفغانى : (مؤيداً) : الحق ما يقول الشيخ الجليل عبد الرحمن فلنسترح قليلاً ... ثم نوصل ما انقطع من حديثنا .

الفصل الثانى
إعتراف وندم

« لم تكن فترة إلتقاط الأنفاس التى اقترحها كل من الجبرتى والأفغانى بالفعل فترة هدوء وراحة ... حيث لم تتوقف مناقشاتهم أو تهدأ على الأقل حدتها ... إن لم تزد عما كانت عليه ... والصورة كما تبدو أمامنا أن هناك استقطابات ثنائية ... وأخرى ثلاثية ... فضلاً عن الأحاديث الجماعية ... التى تتميز عن الأحاديث الثنائية أو الثلاثية بعلانيتها وبإحتوائها على عدد وفير من الأطراف المتناقضة ... فكان أمراً غير مستغرب إذن أن نسمع ـ فى فترة الهدوء هذه ـ أصواتا متنافرة ... مختلط بعضها ببعض ... يصل بعضها إلى حد الصراخ ... وهنا شعر الأفغانى أن هناك ضرورة لإنهاء فترة الراحة المفتعلة هذه ... ومن ثم همَّ واقفا ثم قال » :

الأفغانى : معذرة يا سادة ... ما كان اقتراح شيخنا الجبرتى وتأييدى له الخاص بفترة الهدوء والتقاط الأنفاس ... إلا لكى نجدد نشاطنا ... ونبدأ فى استكمال حوارنا بحثاً عن (**مخرج لأزمة الإنسان المصرى**) ... **ولكن يبدو إنكم لم تعرفوا الهدوء أو الراحة فتأججت حرارة الحوار بينكم ... وتصاعدت حدة النقاش بحيث بدى لنا أن بعضكم قد وجد فى فترة الراحة هذه فرصة لكى يقول ما عجز أو ما خجل أن يقوله أثناء حوارنا ... ولكن ما علينا ... فلقد آن لحوارنا أن يتصل .**

عبد الناصر (وفى صوته بحه أقرب إلى البكاء) : يا سيدى ... يا سيدى لقد استغل البعض فترة الراحة هذه ... وانشغالك مع الشيخ الجبرتى فى حديثكما الجانبى ... وعقدوا لى محاكمة ... واتهمونى فى نهايتها بتخريب معنويات الإنسان المصرى ... فهل لك أن تنصفنى يا سيدى ؟

محمد على (بانفعال شديد) : لقد تطاول هذا الرجل علينا ... وعلىَّ أنا بالذات ... **وظل يخطب فينا بخطبه المنبريه والعنترية المعهودة** ... معدداً — فيما يظن — أنها مآثره وفضله على مصر والإنسان المصرى ... فتصدى له أحفادى إسماعيل وتوفيق وفؤاد وفاروق ... وغيرهم كلطفى السيد وهيكل وسعد وخاصة عندما أراد أن يقارن بين انجازاتى وانجازاته ... للدرجة التى حاول فيها أن يسلبنى كل مزية وكل فضل ... أيريضيكم كل هذا التطاول ؟ غريب أمر هذا الرجل ... ثم بعد ذلك يشكونا ويدّعى إننا عقدنا له محاكمة ... لقد كان البادىء ... وما أردنا إلا أن نعدد له محاسنا ونعين له مساوئه ... وكان السؤال الوحيد الذى دار حوله نقاشنا معه الذى يسميه محاكمه هو : ماذا قدمت للإنسان المصرى ؟

جمال عبد الناصر (بإنكسار) : وماذا قدمت أنت وأحفادك لمصر وللمصريين ؟

إسماعيل (بما يشبه الملل) : ستعود مرة أخرى إلى هذا الحديث ؟

الأفغانى : مهلاً يا سادة ... مالى أراكم مختلفين ؟ ... إن لدى إقتراحاً عسى أن ترضون به ؟ فتريحوا وتستريحوا ؟

الجميع فيما يشبه الصوت الواحد : ما هو الاقتراح يا سيدى ... ما هو ؟

لنديم : أنت ما عودتنا يا شيخنا العظيم إلا أن تكون صاحب الفكر السديد ... والرأى الحكيم ... فهات ما عندك يا سيدى ؟

الأفغانى : ما عندى يا نديم هو إقتراح بدعوة شهود عيان عاصروكم

يا حكام مصر وزعمائها ومفكريها ليروا لنا مالكم وما عليكم ومنهم شاهد عيان مشترك بينكم ... اعرفه جيداً ... هو وأحفاده الذين رحلوا إلى عالمنا هذا ... وأعنى به الفلاح المصرى (**صابر أيوب**) ... وهو أول شخصية التقيت بها فى عالمنا الأخروى هذا ، فكثيرا ما كنت التقى به ويلتقى بى كلما وفد إلى هذا العالم فلاح مصرى جديد ... فنجلس جميعاً ساعات وساعات استمع إليهم ويستمعون إلىَّ ... وإن كنت أفضل فى أحيان كثيرة أن استمع إليهم ... فهل لنا أن ندعو جدهم الأكبر (**صابر أيوب**) لكى يحكى لنا قصتهم مع حكامهم ... على أن يكون هذا الصابر أول الشهود الذين نستمع إليهم ... ثم ندعو بعد ذلك الشهود الذين تقترحون أنتم ؟

الشيخ محمد عبده : إقتراح طيب يا سيدى ... ولكن ما دور الشهود بالنسبة لنا نحن المفكرين والعلماء ... ونحن لم يقدر لنا الحكم ولم تكن لنا سلطة ... ولم يكن لنا سلطان ؟

الأفغانى : أنتم يا معشر المفكرين والعلماء لكم دور أخطر مما تتصورن ، فعلى يديكم تنشأ الأمم ... وتربى عقول أفرادها ... وتوجه إلى حيث الخير أو الشر ، فبإيديكم صلاح الأمم وفسادها ... وأنتم يا من كان لى حظ لقائهم اليوم قمتم بدوركم ــ فيما أظن ــ خير قيام ... فلم تهادنوا السلطة ... ولم تنافقوا السلطان ولم تتزلفوا لأصحاب العظمة والجاه ... كم كنت أتوق إلى رؤية (**عباس العقاد**) **وأمين الرافعى** وقبلهما **يعقوب صنوع** وبعدهما **سلامة موسى ومحمد مندور وبيرم التونسى** ... وغيرهم ممن عرفوا لأدبهم وفكرهم رسالة وكرامة ... وكم كنت أتوق أيضا لرؤية

أصحاب بعض الأقلام الذليله المنكسرة ... الذين أبوا إلا أن يكونوا أبواقاً للسلطان فخانوا أمانة القلم ... وجعلوا من فكرهم مطية للحكام والسلاطين يوجهونها الوجهة التي تتفق ومصلحتهم ... ولكن تأكدوا أيها الزملاء أن هؤلاء المتزلفين ظواهر لا يخلو منها أى مجتمع ... ولكن يبدو أن نصيب المجتمع المصرى منها كان أكبر ... بدليل استمرارهم ـــ كظاهرة ـــ حتى بدون رغبة السلطان أحيانا ... حتى اللحظة التى بعثت فيها بدعوتى إليكم .

هيكل (**بإمتنان ظاهر**) : شكراً لتقديرك إيانا يا سيدى ... وما قمنا به هو الدور الطبيعى الذى ينبغى أن يقوم به أصحاب الفكر والقلم ... أما من خانوا أمانة القلم فيكفى حكم التاريخ عليهم ... ويكفى أنهم خانوا شعوبهم ... وخيانة الشعب ـــ لمن حمل الأمانة ـــ ليعد فى تصورى أكبر جريمة يظل صاحبها فى حياته وفى مماته مؤرق البال ... سقيم النفس ... عليل الوجدان ... وهيهات أن تتسامح معهم شعوبهم ... فإن الشعوب ـــ مهما بلغت درجة عدم نضجها ـــ من الذكاء والفطنة ... ومن القدرة على استخدام حسها الطبيعى ، بحيث تستطيع أن تميز بين الأوفياء المخلصين الذين يعملون لصالحها ... وبين هؤلاء الذين أبوا إلا أن يعيشوا لأنفسهم ... مؤثرين صوالحهم الخاصة ... بتقربهم للسلطة والسلطان .

مكرم عبيد : ألم يحن الوقت بعد يا سيدى كى تبعث برسولك إلى الفلاح المصرى **صابر أيوب** ؟ فنحن جميعاً شغوفون للقائه لكى يقطع الشك باليقين ... ولكى نتعرف على الممثل الحقيقى للإنسان

المصرى ... ولكى يروى لنا قصة رحلته الطويلة مع الملوك والحكام تلك القصة التى لا نشك فى أنها تتضمن من التناقضات والأعاجيب والغرائب ... والعظات والعبر ما يجعلنا جميعا تواقين لسماعه ... لعلنا نجد فيما يقول ما يعيننا على إيجاد مخرج للإنسان المصرى من أزمته .

مصطفى النحاس : (وكأنه يخطب ود مكرم عبيد) : صدقت يا مكرم ... فإننا تواقون للقاء رمز الإنسان المصرى صابر أيوب ... حيث تكون المواجهة الحقيقية ... بين ما يدعون أنهم عملوا لخير مصر ... ولخير الإنسان المصرى ... وبين صاحب المصلحة الحقيقية وهو الفلاح المصرى ... فهل لك يا سيدى أن تبعث برسولك لاحضاره ... كى نستمع إليه أولا ... ثم نرسل إلى ما نريد الاستماع إليه من الشهود .

« يقوم الأفغانى بإرسال رسوله لإحضار الفلاح المصرى صابر أيوب مرجئاً بقية الشهود ــ الذين لم يستقر عليهم بعد ــ إلى ما بعد لقاء الفلاح المصرى ... ولا نعرف كم من الوقت استغرقت عملية استدعائه ... إلا أنه يبدو أنه قد حضر فى التو ... بوسيلة لا يعلمها إلا الله ... فيدخل صابر أيوب مهرولاً ... وفجأة يتوقف وينظر إلى الحشد المجتمع ... ويجول ببصره بينهم ... فاغراً فاه ، وتعكس ملامح وجهه كل علامات الدهشة والاستغراب ... ثم يقول بصوت يقطر وهنا وضعفا :

الفلاح صابر : السلام عليكم ... !

الجميع فى صوت واحد : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

الأفغانى : أهلاً بك يا أخ صابر ، ونأسف إن كنا قد أزعجناك

بإستدعائنا هذا .

الفلاح صابر : أبداً يا سيدى ... فعندما جاءنى رسولك سررت جداً ... فأنا شغوف لرؤياك ... فلقد مضت فترة طويلة لم أرك فيها ... حيث كنا نتبادل الحديث معاً ... ونتذكر سويا أيام دنيانا الأولى ... فأحكى لك ... وتحكى لى ... ولكننى لم أتوقع أن أجد لديك ضيوفاً .

الأفغانى : أبداً يا صابر ... إنهم ليسوا بضيوف ... وإنما هم أهلك وعشيرتك ... إنهم حكام مصر ... وزعماؤها ومفكروها ... إنهم ليسوا غرباء عنك وأنت لست غريبا عنهم (**ثم يقوم الأفغانى بتقديمهم الواحد أثر الآخر**) .

الفلاح صابر : (**وقد ألجمته الدهشة**) ... حكام مصر ... وزعماؤها ؟ أحقا هذا ؟ ! ... هل قدر لى أخيراً أن أرى حكامنا وزعماءنا ؟؟ لقد كان مجرد سماع اسم أحدهم يصيبنى بحالة من الدوار ... أحقاً ما تقول يا سيدى ؟

الأفغانى : صدقنى يا صابر أنهم حكام مصر وزعماؤها ... هل عهدت فىَّ الكذب ؟

صابر : معاذ الله يا سيدى فأنت أصدق من عرفت فى دنياى وفى مماتى ... ولكن ؟؟ !

« **يقاطعه السيد عمر مكرم قائلاً**) .

عمر مكرم : إذن أنت يا صابر كنت تود رؤيتهم ؟

صابر : نعم ... نعم ... يا سيدى ولقد تحقق الأمل أخيراً

« **وهنا تسمع أصوات متناثرة ... من كل جانب ... يفهم**

منها أن أصحابها يتساءلون عن السبب فى شغف صابر لرؤية الحكام والزعماء ... إلا أن الجبرتى **يتدخل قائلاً :**

الجبرتى : ياقوم ... رفقاً بالرجل ... نحن ما أتينا به ليرى ما نحن فيه من فوضى ... فرفقاً به ... رفقاً ... فهو يحمل جبالاً من الهموم والأسى (**ثم متوجهاً إلى صابر**) ... **يا أخ صابر إسترح إن شئت ... ثم قل لنا لماذا كنت تود رؤيتنا ؟ ، أو على وجه الدقة لماذا كنت تود رؤية حكامك وزعمائك ؟**

صابر : لست وحدى الذى أريد أن أراهم ... إن أحفادى كلهم تواقون لرؤيتهم لأسباب يعلمها جيداً حكامنا وزعماؤنا ... إن بيننا وبينهم قصة طويلة وحسابا طويلاً.

سعد زغلول : وهذا هو سبب دعوتنا لك ... لكى تحكى لنا قصتك وقصة أحفادك معهم ... ومعنا .

صابر : إن قصتى ... وقصة أحفادى معهم ... هى قصة الذئب والحمل ... هى قصة صراع طويل ... مرير ... لست أدرى من المنتصر فيها ... وإن كنت أعرف جيداً من هو الخاسر الوحيد ... الخاسر الوحيد هو مصر ... أما المنتصر الأول والأخير فهو الباطل ... ولكنه انتصار كما تعلمون لم يدم للباطل طويلاً ... وإن كانت آثاره لم تزل بعد تفت فى عضد مصر الخاسرة الوحيدة ... فى هذه اللعبة التى لا ندرى إلى متى سوف تستمر ؟ ... أو إلى أين سوف تنتهى ؟

أحمد عرابى : يا أخ صابر ... أرجو أن تميز بين الملوك والحكام من جانب والزعماء ـــ من غير الحكام ـــ الذين وقفوا بجانبك أنت

وجدودك ... وأحفادك يدافعون عن مصالحكم ويذودون عنكم من جانب آخر .

الفلاح صابر (وقد ملك زمام نفسه بصورة لافتة) : أهلاً ببلدياتى الرجل العظيم ... المظلوم أحمد عرابى ... فلاح مصر الأصيل ... فنحن الفلاحون يا سيدى ــ وأنت منهم ــ لا يمكن أن نغمط أحداً حقه ولا ننكر للبعض ما تكبدوه فى سبيلنا من عنت سواء أكان من الحكام أو المستعمرين ... وأنت تعلم يا سيدى أننا معشر المصريين ــ والفلاحون بالذات ــ رغم ما عرف عنا من صبر وجلد وحكمة ... عندما يفيض بنا الكيل ... لا نعرف إلا **الثورة** سبيلاً وإلا **العنف** مسلكا رغم نزعتنا السلمية فى الحياة التى أغرت بعض حكامنا وأوهمتهم أنه يمكن استمالتنا بأبسط الوسائل والطرق ولكنه كان وهماً وأى وهم ... واسألوا الباشا محمد على حين ثار الفلاحون ــ فى عهده ــ فى أسوان واسنا وغيرهما ... ثم ما لنا نذهب بعيداً ... وثورة عام ١٩١٩ ... التى عاصرها غالبيتكم حيث قام أحفادى ... وأحفاد أحفادى بأعظم دور لهم فى تاريخ مصر ... ثم قبل هذا وذاك ... أننسى أول ثورة على ظلم ملاك الأرض أيام مصر الفرعونية ... إن حسابنا يا سيدى مع حكامنا طويل ... **إنه حساب لم ينته بعد** .

جمال عبد الناصر : فى أى عصر عشت يا أخ صابر ؟

صابر : فى عصر محمد على باشا ... فأنا الفلاح الذى منحه الباشا جاموسة أحد أغنياء قريتى عندما شكوت للباشا ضيق الحال عند مروره علينا فى طريق عودته من الاسكندرية .

الشيخ محمد عبده : آه ... تذكرت ... أنها القصة التى رواها المؤرخ الإنجليزى **إدوارد لين** الذى عاصر عهد محمد على ... وهى القصة التى ظل لين يتندر بها ويقول ما معناه إن الباشا يتصدق على الفلاحين من مال غيره .

جمال عبد الناصر (**بتشفى**) : إذن قص علينا يا صابر ما أصابكم أنت معشر الفلاحين فى عهد محمد على وعهد أبنائه وأحفاده .

الفلاح صابر : وما أصابنا أيضا فى عهدك ... ألست عبد الناصر ؟ إننى سمعت بك كثيراً من أحفاد أحفادى .

فاروق (**بسخرية**) : نعم إنه عبد الناصر ... الذى ثار علينا من أجلكم ... وقام بثورته المباركه (بصورة أكثر سخرية) من أجل تحقيق مجتمع الرفاهية لكم !! فهات ما عندك يا صابر ... هات ما عندك (بتشفى واضح) .

الفلاح صابر (**بنبرات أكثر وثوقا ... وبصوت هادىء يكشف عن إعمال عقل صاحبه**) نحن معشر الفلاحين ... منذ عصر محمد على باشا ــ وهو العهد الذى عاصرته ــ حتى اللحظة التى اتحدث فيها إليكم ... ما زلنا نبحث عن أحد يجيبنا عن تلك التساؤلات **من نحن** ؟؟ ... ولماذا خلقنا ؟؟ وما دورنا فى الحياة ؟؟ وهل خلقنا لكى نكون عبيداً للسادة والحكام ؟ وهل كتب علينا أن نكون اذلاء مقهورين فى بلدنا ... فى أحضان أمنا مصر ؟ ... ثم لماذا يوهمنا حكامنا أنهم خلقوا من طينة غير طينتنا نحن الفلاحين ؟ ... ثم لماذا نشعر أننا نحيا غرباء فى بلدنا ... ونحن أصحابها ؟ تلك هى الأسئلة التى عجزنا نحن

الفلاحون حتى لحظتنا هذه أن نجد إجابات عنها ... أو نجد أحداً يجيب عنها ... تلك هى يا سادة مشكلتنا مع حكامنا من سلاطين وملوك ورؤساء ... **إننا نبحث عن ذواتنا معهم** ... ولا أعتقد أن البحث قد توقف ... وهذا ما استطعت أن استشفه من آخر حفيد وصل إلينا من دنيانا الأولى .

النديم : ألم يصنع الحكام من أجلكم شيئاً يا أخ صابر ؟

الفلاح صابر : يجوز أن بعضهم حاول ... وخاصة فى بعض الأمور المتعلقة بالأرض والزراعة ... كما فعل محمد على باشا عندما قضى على نظام الإلتزام ولكنه ـــ ويا للأسف ـــ استبدله بنظم أشد قسوه ... كالعهد والجفالك ، وكما فعل عبد الناصر فى قوانين الإصلاح الزراعى ... حيث أخبرنى أحفادى أنها اجراءات لم تزدهم إلا سوءاً على سوء ... حيث كانوا أسراء للدولة ... حتى سعيد فى لائحته الشهيرة ... أراد أن يحقق قدراً من التوازن فى مجتمعنا ... مجتمع القرية ... ولكن ... العبرة بالنتيجة ... ماذا حدث ؟ لا شيء على الإطلاق ... ولكن والحق يقال أن محمد على باشا استصلح العديد من الأراضى الزراعية ... وأدخل زراعة القطن ... وأنشأ القناطر الخيريه ... وهو ما عاد بالخير على مصر وعلى أراضى مصر ... ثم حدثت النكسة بعد ذلك ... ويكفيى أن أقول إن حكامنا قد نجحوا فى أن يجعلونا ننظر إليهم على أنهم آلهة ... ولكم أن تتصوروا موقف البشر من آلهتم ... خضوع وذل ... فاق كل حد ... وتصور .

عبد الناصر (بحدة) : أينكر أحفادك فضل الثورة عليهم ؟

الفلاح صابر (بحدة أكثر) : أى فضل هذا ؟؟ لقد جعلتمونا نحن الفلاحين أضحوكة العالم ... إنكم تتصورن أننا معشر المصريين لا يهمنا من أمور الدنيا ... إلا المأكل والمشرب ... وإن حقوقنا عليكم ... أنتم يا حكام – كما قد يبدو لكم – هو أن تملأوا لنا بطوننا ... إنكم للأسف ... عجزتم جميعا عن فهمنا ... ولذلك لم تحاولوا أن تأخذوا بإيدينا ... وأن تعلمونا القيمة الحقيقية للحياة ... لقد ظننتم أن تعليمكم إنسانا قيم الحق والحرية والعدالة ـــ وهى القيم الساميه للحياة ... لقد ظننتم إننا إذا ما تعلمنا هذا سيكون وبالاً عليكم ... فعشتم معشر الحكام طوال أيامكم تلقوننا ... أنه لا رأى إلا رأيكم ... وإنكم أعلم بمصالحنا ... وعلى بينة بالصالح من الطالح من الأمور ... ألستم آلهة لنا ؟؟

وهكذا عشنا يا سادة بعيدين عنكم ... أو أنتم بعيدين عنا ... فاتسعت المسافة بيننا وبينكم .

عمر مكرم : إذن يا أخ صابر ... ماذا كنتم تريدون من حكامكم ؟

صابر : كنا **وما زلنا** نريد أمراً واحداً ... هو أن **يعترفوا بإنسانيتنا** ... بأن نكون **أحراراً** ، **نملك إرادتنا** ... وأن يكون لنا **حق الاختلاف** معهم ... وأن نعبر عن اختلافنا هذا دون خوف من بطش أو عقاب .

أحمد لطفى السيد : ألم يحقق لكم حاكم واحد إنسانيتكم هذه ؟

صابر : لقد كان مفهوم الإنسانية بالنسبة لغالبية حكامنا وحسبما رواه أحفادى هو أن يملأوا لنا ولهم البطون ... وحتى هذا لم يتحقق بصورته الكلية ... فلقد كانت هناك قلة تستأثر بخيرات البلاد ... وأغلبية

تتضور جوعاً ... ورغم ذلك صبرنا ... ولكن ما لم نستطع أن نصبر عليه هو محاولاتهم لسلب إرادتنا ... أو على الأقل محاولة تزييفها ... وإرادتنا هى إنسانيتنا ... لذلك فأنا أقول على لسان فلاحى مصر ... **إن حكامنا فشلوا فى أن يحققوا لنا إنسانيتنا .**

جمال عبد الناصر : ألم نجعل لكم والعمال نصف مقاعد المجالس النيابية ؟

الفلاح صابر : معذرة يا سيادة الرئيس إن قلت أن هذه صورة من صور تزييف إرادتنا ... ألست معى أنها محاولة شكلية للترضية ولإيهام البعض بإحترام إرادتنا ... إن أى منصف يتتبع ما جرى فى انتخاباتكم واستفتاءاتكم ــ وحسبما روى لى أحفاد أحفادى ــ ليؤكد وللأسف استهتار البعض بإرادتنا التى زيفت بصورة لم يشهدها التاريخ من قبل .

« هنا يحاول جمال عبد الناصر أن يرد على الفلاح صابر ... إلا أن السيد جمال الدين الأفغانى يتدخل قائلا :

الأفغانى : لا تجادله يا أخ جمال فى حقائق استمعت أنا إليها من كل قادم جديد من مصر .

الشيخ محمد عبده (مشجعاً صابر للمضى فى الحديث) : إذن أنتم يا أخ صابر تريدون من حكامكم أن يعترفوا بإنسانيتكم ؟

الفلاح صابر (كمن فهم مغزى تشجيع الشيخ محمد عبده) : نعم يا سيدى وأن يعلموا أيضا أننا لسنا سذجاً وأن لنا إرادة يجب أن تحترم ... وأننا لسنا عبيداً ... بل أسياد فى بلادنا ... ومن منطق السيادة هذا ينبغى أن يعاملنا حكامنا .

سعد زغلول : نفهم من حديثك هذا يا أخ صابر أن كل حكام مصر بهذه الصوره مدانون ومتهمون ؟

الفلاح صابر : وهل ترون أنتم غير ذلك ... اسألوا الشيخ العظيم السيد جمال الأفغانى ... فهو أعلم منى ومنكم بما جرى ويجرى لنا نحن معشر المصريين ... فقد كان الرجل ... وما زال حريصا على لقاء كل وافد جديد إلى عالمنا هذا من مصر ... فأصبح على معرفة كاملة بكل أحداث مصر ... وما أصاب الإنسان المصرى منها ... فأسألوه إن كنتم غير مصديقننى ؟

عبد الرحمن الجبرتى : أبداً يا أخ صابر ما كنت كاذبا على الإطلاق ... ثم كيف لا نصدقك ونحن عشنا وعانينا ما عانيتم ... وشعرنا بما شعرتم ؟ ثم ألا تعلم أننى عشت نفس الفترة التى عشتها أنت من حكم محمد على باشا ؟؟ ومع ذلك يا ساده فإن ما قاله الأخ صابر اعتقد أنه يفسر لنا ما أثاره السيد الأفغانى عن أسباب عزوف الإنسان المصرى عن المشاركة الحقيقية فى قضايا مجتمعه ... أو ما أثاره البعض عن أسباب تخلف الإنسان المصرى ... والإجابة كما فهمت وكما أعتقد أنكم فهمتم **أن المصريين يشعرون بأنهم يعيشون غرباء فى بلدهم ، مسلوبى الإرادة ... لم يتعلموا أو لم يعلمهم أحد كيف يشاركون حكامهم فى تحديد مصير مجتمعهم بالعمل تارة وبالرأى تارة أخرى وبالرأى والعمل معاً فى كثير من الأحيان .**

الأفغانى : إذن هى يا سيدى **قضية الحرية ... وشرعية السلطة فعندما** تكون السلطة شرعية ... **أى نابعة من إرادة الأفراد وليست تزييفا**

لها ... تنتفى منها فكرة **الألوهية** ... **وتتأكد بالتالى فكرة أن الشعب هو خالق السلطة** ... وأن حق الخالق على المخلوق هو الطاعة .

مكرم عبيد : إذن لقد اقتربنا من الحقيقة ... وهى أن السلطة الحقيقية هى **سلطة الشعب** ... سلطة **كل الناس** ... وأن مكمن **الخطر** هو عندما **تغترب** السلطة عن الشعب ... وأن تعمل **بمعزل** عنه ... عندئذ علينا أن نتوقع كل ما يخطر ... أو لا يخطر على البال ... من مآسى ومهازل ... وواضح من حديث الأخ صابر أن اغتراب السلطة الحاكمة عن الشعب كان **سمة مشتركة** ، اجتمعت فى كل سلاطين مصر وملوكها ورؤسائها ... رغم إدعاءات البعض بعكس ذلك .

مصطفى النحاس : (**موجهاً حديثه للأفغانى**) ... اعتقد يا سيدى بعد أن استمعنا إلى الأخ صابر قد آن الآوان كى نستدعى بقية **شهودنا** ... حتى تكتمل الصورة عن **أسرار مأساة الإنسان المصرى** ... فهل لك يا سيدى أن تعين لنا أسماء بقية الشهود ... ثم تتفضل بإرسال رسولك لإحضارهم ؟

الأفغانى : أود أولا أن أشكر الأخ صابر بأسمكم جميعا وأدعوه لو أذنتم لكى يحضر معنا اجتماعنا هذا ... ففى وجوده بركة لنا جميعا ... أما عن بقية الشهود ... فأرجو أن نشترك جميعا فى اقتراح أسمائهم حتى يتسنى لى إرسال من يحضرهم بالعجل ... وعنى أنا تحضرنى ثلاثة أسماء لهم أهميتهم فيما اعتقد وهم **رفاعة رافع الطهطاوى وعباس العقاد وسيد قطب ... فماذا عن اقتراحاتكم أنتم ؟**

سعد زغلول : وأنا تحضرنى بعض الأسماء ... أرجو أن تجد قبولاً

لديكم ؟ وهذه الأسماء هى الصحفى **محمود أبو الفتح** والدكتور **أنور المفتى وعبد الحكيم عامر ، وحمزة البسيونى ، والشاعر بيرم التونسى** ... فأرجو إن لم يكن هناك اعتراض ... أو إقتراح آخر ... أن نبدأ – لو أذن أستاذنا الأفغانى – فى إرسال من يستدعيهم للإستماع إليهم .

« تسود لحظة من الصمت لا يكتشف من خلالها أى الحاضرين معترضاً وأيهم موافق ... وإن كان يبدو أنه ليس هناك اقتراحات بأسماء للشهود جديدة وهنا يتدخل السيد جمال الدين الأفغانى قائلا :

الأفغانى : أعتقد أنه آن الآوان لكى نرسل رسولنا لاستدعاء الشهود المقترحين ... إذ يبدو إنكم غير معترضين على أى من الأسماء المقترحة .

« ويقوم فى التو السيد الأفغانى بإرسال مندوبه لإحضار الشهود المقترحين ... فيحضرون بالفعل خلال برهة وجيزة بحساب دنيانا الأولى » .

الشهود : السلام عليكم !

تسمع أصوات متفرقة : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته :

الأفغانى : أهلاً بكم جميعاً ... ونأسف لإزعاجكم ... فهذه كوكبة من حكام مصر وزعمائها ومفكريها عقدوا هذا اللقاء لمناقشة أزمة الإنسان المصرى (**يقوم الأفغانى بتقديمهم واحداً أثر الآخر**) وقد أبوا إلا أن يستمعوا إليكم ويستنيروا بآرائكم ... ولا سيما وأنهم اختلفوا —

لا سيما الحكام منهم ــ فيما بينهم على مدى ما قدموه للإنسان المصرى ... فلعل فى وجودكم معنا ما ينير أمامنا الطريق بحثا عن مخرج للإنسان المصرى ... وتقويماً لحجم الإسهام الحقيقى لكل حاكم لما قدمه للإنساننا المصرى .

« وهنا يختلط الشهود بالحاضرين ... فيحيون بعضهم بعضا ... فنرى بيرم التونسى محتضناً النديم والعقاد معانقاً سعد ... بينما وقف الدكتور المفتى ناظراً إلى عبد الناصر محملقاً فيه بنظرات تعكسان معانى لا شك أن كليهما يعرف معناها جيداً ... فى حين آثر عبد الحكيم عامر ... وحمزه البسيونى الصمت ... حيث انزويا فى ركن قصى يحملقان فى الجميع ... أما سيد قطب فوقف مشدود القامة ممسكا بمسبحته ... ناظراً إلى الجميع وعلى فمه شبه إبتسامة ... تكشف عن ثقة وإيمان ... وعدم اكتراث فى الآن نفسه ... على حين تسابق الجميع ، ولا سيما المفكرون منهم ــ إلى تحية رفاعة الطهطاوى ... مؤكدين له سعادتهم بلقائه »

« وهنا يبدأ رفاعة الطهطاوى الحديث بصوت هادىء وقور :

الطهطاوى : (وعلى فمه شبه ابتسامه تدل على أمتنان وسرور) ...
كما هو ممتع حقا أن نتلقى منكم هذه الدعوة الكريمة للقائكم ... لقد كنا مجتمعين فى اجتماعنا الدورى لمناقشة أمور مصر ... وهو الإجتماع الذى تعودنا أن نعقده بصفة منتظمة حيث نلتقى فيه بكل قادم جديد من مصر إلى دنيانا هذه ... حيث نستمع منه إلى آخر أخبار مصر ...

وما يجرى فى مصر ... ثم يبدأ حوارنا من منطلق آخر ما وصل إليه الإنسان المصرى ... وما آلت إليه أوضاعه ... ولقد فضضنا اجتماعنا فور تلقينا دعوتكم ... وحضرنا لنرى ما وراءكم ؟

الأفغانى : أهلاً بك وبكم جميعا ... ويبدو أننا التقينا على هدف واحد وهو « مصر » و « أزمة الإنسان المصرى » ... ولكن أتسمح لنا يا سيدى أن نتساءل عما توصلتم إليه فيما يتعلق بقضية الإنسان المصرى ؟

الطهطاوى : إن النقاش بيننا مازال مستمراً ... وإن كل قادم جديد من مصر لا شك أنه يضيف لنا أبعاداً جديدة فى تحليلنا لأزمة الإنسان المصرى وإن كان فى نفس الوقت يؤكد لنا حقيقة أوليه قد توصلنا إليها من نقاشنا وهى أن أزمة الإنسان المصرى هى فى الواقع « **أزمة السلطة** » ... بما تعكسه هذه الكلمة من معانى ... وما تثيره من قضايا .

عبد الله النديم : هذا هو بالفعل يا سيدى ما توصلنا إليه أيضاً ... وإن كان بعض زملائنا الحكام ما زالوا يدَّعون ما لا ينطق به الواقع ... من أنهم كانوا ذوى سلطات شرعية ... وأنهم بذلوا الكثير من أجل تحقيق رفاهية الإنسان المصرى وحريته ... فما رأيكم ... فيما يرون ... وفيما يدعون ؟

اسماعيل : نحن لا ندعى إلا الحقيقة

فؤاد : ما زلت أؤكد أن الشعب نال فى عهدى أعظم دستور عرفته البلاد

العقاد : إن جاز لى أيها الزملاء أن أتدخل فإنى أؤكد كما ذهب بعض

الأخوة أن أزمة الإنسان المصرى كانت ولا زالت دائما هى أزمة السلطة ... أما من يدعى بأن عهده كان أول عهد شاهد أعظم دستور للبلاد ... فأرجو ألا ينسى ظروف إخراج هذا الدستور ومحاولاته لعرقلته وتدخل المستشارين الأجانب فى حذف الكثير من فقراته التى تؤكد سلطة الشعب ... ولعله يتذكر اعتراض عبد العزيز فهمى على حذف هذه المواد ... ثم كيف ينسى محاولاته لتعطيل الدستور الأمر الذى دفعنى إلى القول فى البرلمان ما معناه أن هذه الأمة على استعداد أن تدق عنق أكبر رأس فى البلاد إذا ما سولت لها نفسها أن تنال من هذا الدستور .

ولكن والحقيقة تقال ــ ورغم سجنى بسبب هذا التصريح ــ أننا كنا ننقد ونوجه ونرشد ... ونقود الحملات الضارية على الحكام ... عندما نرى فى سلوكهم ما يستوجب النقد ... وفى أفعالهم ما يستلزم التوجيه ... فتلك هى الحقيقة أننا نحن الكتاب كنا أحراراً فيما نكتب ... وفيما نفكر ... وإن حاول بعض الحكام عرقلة مسيرة حرية الفكر ... إلا أننى وتلك حقيقة أخرى آثرت الصمت **فيما بعد الخمسينات** ... وأقصد بالصمت هنا ... الصمت السياسى لشعورى بالسأم والقنوط من المسار الخاطىء الذى تردى فيه البعض ... والذى مازالت آثاره حتى الآن تعوق مسيرة الإنسان المصرى ... وهذا ما فهمته بالفعل من آخر قادم ... وفد إلينا من مصر .

أحمد لطفى السيد : إذن ما تفسيرك ياعقاد لكل ما أصاب الإنسان المصرى من خطوب ومحن ؟ أى ما هى الأسباب فيما ترى ؟

العقاد : أنت أعلم منى بهذا ... فالأمر ببساطة هو الافتقار إلى **حكم الشعب** ... **الإفتقار إلى الديمقراطية** بصورتها الحقيقية .

محمد عبده : إذن هى شرعية السلطة كما أتفقنا من قبل .

عبد الحكيم عامر (وقد خرج من صمته فجأة) : لقد قدمت استقالتى فى يوم ما مطالبا بالديمقراطية ... وبعودة النظام الحزبى ... ولكن نزعة البعض (ناظراً إلى عبد الناصر) إلى الحكم الفردى لم تتح له الاستماع إلى الرأى الآخر .

العقاد (متدخلاً بغضب) : يا أخى لا تدعى البطولة الآن ... ولا تنسى أن موقفك من الديمقراطية كان أحد المناورات التى كشفت فى حينها ... ثم يا أخى لا تنسى وأنت الصديق الصدوق لعبد الناصر أنك كنت مسئولا وشريكا فى الحكم ... بل كنت فى كثير من الأحيان الرجل الأول ... الذى يأتمر لأمره كل رجالات الحكم ... فلا تدعى الديمقراطية الآن يا صاحب مهزلة لجنة تصفية الإقطاع ؟

عبد الحكيم عامر : لو كنت صديقا صدوقاً له لما فعل بى ما فعل بعد يونيو ١٩٦٧ .

الدكتور المفتى : آه يا أخى ... لقد ذكرتنى بما كنت لا أود تذكره .

لقد قدمت له النصيحة ولم تكن أبداً نصيحة سياسية ... بل كانت نصيحة طبية ... بحكم تخصصى ... فماذا كانت النتيجة ... أنتم تعلمون جميعاً ماذا كانت النتيجة ... ولن أعلق على هذا بغير ذلك .

مصطفى النحاس : معذرة للأخ جمال ... فهذه هى سمات السلطة الضعيفة غير المستقرة ... الشك ... والشك ... والشك إلى الأبد ... والإحساس دائما بالخوف ... حتى من الموتى ... وكأن الموتى يملكون لهم نفعاً أو ضراً ... ألم تسمعوا بما أصاب الطيبين من المصريين الذين شاركوا فى تشييع جنازتى عندما انتقلت إلى عالمنا هذا ؟ ... أترون إلى أى حد كانت تعيش السلطة فى فزع وخوف ... وإلى أى حد كانوا يخشوننى ... وأنا الميت الذى لا حول له ولا قوة . ثم بالله عليكم ما الذى تكشف عنه هذه الحادثة ـــ حادثة جنازتى ـــ ألا تكشف عن ضعف السلطة رغم ما كانت تدعيه من قوة ؟ ألا تكشف عن وهن أصاب أصحابها رغم ما يدعونه من جبروت ؟ ... ثم يا أخ جمال ... معذرة مرة أخرى ... إن قلت لك إن أخطاء ما قبل عام ٥٢ لا تقارن بأخطائك وأخطاء حواريك فما كان حادث ٤ فبراير ولا معاهدة ٣٦ بشىء يذكر أمام هول ما ارتكبه البعض فى حق مصر ... وفى حق الإنسان المصرى ... ثم معذرة مرة أخرى يا أخ جمال .

جمال عبد الناصر (محتداً) : إننى تركتكم تتحدثون كما يحلو لكم فهل آن لى أن أتحدث ؟

سيد قطب : (يتحدث وكأنه يسبّح بكلمات من نور) تتحدث !! يااللعجب هل بعد كل هذا تريد أن تتحدث يا عبد الناصر ! ؟ يكفى أن أذكر لك أسمى ... يكفى أيها السادة أن أذكر لكم اسم **سيد قطب وعبد القادر عوده وعلى عبد اللطيف** ، واسماء كل شهدائنا الأبرار ... حتى تتجسد لكم أقسى مظاهر الظلم ... والكبر والعنجهية ...

ويكفى أن اذكر لكم اسم زينب **الغزالى** الطاهرة الطهور ... التى تحملت من الظلم والتعذيب ما لا يتحمله بشر ... وأسألوا **حمزه البسيونى ها هو ماثل أمامكم الآن ... لقد أدعوا أننا نحن الأخوان المسلمين قد تآمرنا عليهم ... وعلى أمنا مصر ... أى منطق هذا ؟ ! وأى عقل يصدق هذا ؟ ! ... ويعلم الله أنها فرية ... وأى فرية ... فنحن الأخوان ما كنا نبغى إلا وجه الله ... ووجه الوطن فنكلوا بنا ... وعذبونا ... وشنقوا الكثيرين منا بغير ذنب أو جريمة ... وأرادوا أن يشوهوا صورة أخواننا المناضلين أمام الشعب ... وأن يلطخوا تاريخ جهاد إمامنا الشهيد حسن البنا** الذى كأنى به الآن ينعم بفردوس الجنة ... فهل بعد ذلك تريد أن تتحدث يا عبد الناصر ؟؟

حمزة البسيونى : (يتكلم بنبرات تكشف عن ندم صاحبها) : نعم أيها السادة ... إن ما قاله الأستاذ الجليل (مشيراً إلى سيد قطب) هو الصدق ... كل الصدق ... لقد عذبناهم عذاباً لا يطيقه بشر ... ونكلنا بهم ... وأهدرنا آدميتهم ... وأنا وبكل الصدق ... والندم يعصر قلبى لا أعفى نفسى من مسئولية هذه الجرائم ... بل هذه الآثام التى اقترفناها فى حق الإنسان المصرى ... ومع ذلك أيها الزملاء فأنا كنت — ويا للأسف والحسرة — كالعبد المأمور ... أنفذ أوامر أسيادى بلا عقل ولا منطق ... ولا حتى مناقشة الأمر مع نفسى ... كم أنا نادم (بصوت يشبه البكاء) ... على ما فعلت ... لقد تحجرت قلوبنا ونضبت ينابيع الإنسانية فينا ... ولكننى كما قلت لكم كنت كالعبد

المأمور ... انفذ ما يأمرنى به البعض (ناظراً إلى كل من عبد الناصر وعبد الحكيم عامر) ولكن الله عز وجل أنتقم منى شر إنتقام ... فكانت ميتتى الشنعاء فى الدنيا ... وعذابى المتوقع فى الآخرة ... أنا غير مصدق لما فعلت ... أنا غير مصدق لما فعلت (ويجهش فى البكاء) .

سيد قطب (**بحب وتسامح**) : يا أخ حمزه ... ما عليك ... إن الله غفور رحيم ... يكفى إنك نادم ... وتائب ... والله سبحانه وتعالى ذو رحمة واسعه (ثم يقوم إليه ويربت على ظهره بحنان وحب أدهش الجميع)

العقاد : ما أعظم إنسانيتك يا أخ سيد ... يا شهيد الحق ... يا من قدر لك أن تكون مع الشهداء والصديقين ... وها هم ظالموك ما زالوا يتجرعون من ذات الكأس التى أسقوك منها وزملاءك الأبرار ... ولكن معذرة يا أخ سيد ... وأنت صاحب الفكر الواعى والعقل الثاقب أن أسوق إليك أمرين أو ملاحظتين خاصتين بفلسفة الأخوان المسلمين ومنهجها فى النضال ... الأمر الأول أو الملاحظة الأولى هو لجوء الأخوان أو الجماعة إلى العنف أحيانا ... وهنا أقول أحيانا وليس دائما ... ومن الطبيعى أن يكون للعنف مبرراته السياسية والعقائدية ... ولكن مهما كانت هذه التبريرات فإنى أرى أن هذا الأسلوب كان يتناقض ــ فيما أتصور ــ مع فلسفة دعوتكم التى بدأها الإمام الشهيد حسن البنا ... والتى قامت على مبادىء الحب والسلام ... الأمر الذى حفز حكومات ما بعد الخمسينات أن تشهر بكم فطبعت ما يشبه الكتاب وأسمته **إرهاب الأخوان** ... واختلطت فيها الحقائق مع الأباطيل ... وما كان

تصدر مثل هذه الإفتراءات ما لم يلجأ الأخوان إلى العنف ... كأسلوب استهجنته أنا فى حينه .

أما الأمر الثانى ... أو الملاحظة الثانية ... فتتعلق بإفتقار الجماعة إلى فكر سياسى ذى برنامج محدد البناء والهوية ... قابل للتطبيق على مستوى الواقع ... قد تقول لى إن منهج الأخوان فى السياسة والحكم هو **المنهج الإسلامى** ... وهذا حق ... ففكركم السياسى هو الفكر الإسلامى بشموليته وعمقه واتساع أفاقه ... ولكن ما أعنيه على وجه الدقة هو ترجمة الفلسفة العامة للحكم الإسلامى إلى **خطة دقيقة قابلة للتنفيذ** ، يأخذ الواقع فى إعتباره ... ومتغيرات المستقبل فى الحسبان ومن الطبيعى أن هاتين الملاحظتين لا تنقص على الإطلاق من دوركم العظيم فى النضال ضد المستعمر وضد ديكتاتورية بعض الحكام .

سيد قطب : شكراً لك يا أخى ... ولكنى أود أن أسوق لك حقيقة هامة أعتقد إنك تعرفها أكثر منى وهى أن **حزب الوفد** ، **حزب الأغلبية** ... كان له **جهاز سرى** ، تولى سكرتاريته **عبد الرحمن فهمى** وكان من بين أعضائه **عبد الرحمن الرافعى** ، العضو البارز فى الحزب الوطنى ... ولا تخفى عليكم مهام هذا الجهاز ... التى تركزت أولاً وأخيراً فى مقاومة المستعمر وغيره بالعنف ... وفى تحريك القضية الوطنية بأسلوب آخر ... غير أسلوب المفاوضات ... فصدقنى يا أخى ان ظروف النضال هى التى الجأتنا **أحيانا** إلى اتخاذ هذا الأسلوب ولكنه لم يكن أبداً **منهجاً دائما لنا** .

« **وبإنتهاء كلمة سيد قطب تسود فترة من الصمت** ...

يقطعها الصحفى محمود أبو الفتح قائلاً :

محمود أبو الفتح : معذرة أيها الأصدقاء ... إن كان لى أن أتحدث عن أمر ظل حبيساً فى صدرى فترة طويله من الزمن.... وإن كنت ألمح به لبعض زملائنا الحاضرين معنا الآن ... هذا الأمر هو علاقة عبد الناصر بصحافة **آل أبو الفتح** ... فمن المعروف أننا ـــ **آل أبو الفتح** ـــ قد ساندنا الثورة فى أول عهدها ... حيث كنا نأمل الخير على يديها ... ولقد كان أخى **أحمد أبو الفتح** ... **قبل الثوره صديقا** لعبد الناصر يتبادلان معاً المشوره ... ويسدى أخى له النصيحة ... بل إن التعجيل بقيام الثورة قبل الميعاد الذى حدده الثوار لقيامها جاء برأى من أخى أحمد.... وهذه حقائق ذكرها خليفة عبد الناصر فى الحكم فى مذكراته كما روى لى أحد القادمين الجدد من المصريين ... إلى عالمنا هذا . فماذا كان جزاؤنا ؟ أغلقت صحيفتنا ـــ **المصرى** ـــ بل وصودرت ... ثم نكل بنا الرجل وشردنا ... وبعث بمن يتتبعنا ويحاربنا فى كل مكان نذهب إليه... حتى قدر لى أن أموت غريباً عن وطنى ... ويدفن جسدى فى تونس وهى بلد غير بلدى ... ووطن غير وطنى ... أتلك هى الحرية ... والعدالة ... التى قامت الثورة حاملة لواءها ؟ أهذا هو سلوك الثوار ؟

وتسألوننى لماذا كل هذه الحرب التى قامت بيننا وبينه ؟ أقول لكم ... لأننا قلنا **كلمة حق** ... لأننا قلنا **لا للديكتاتورية** ... **لا لحكم الفرد** ... **بل الحكم للشعب** ... هذا هو كل ما اقترفناه وتلك هى جريمتنا التى نكل عبد الناصر بنا من أجلها .

رفاعة رافع الطهطاوى : إن ما يثيره الأخ محمود أبو الفتح يذكرنى بماض

كنت أظن أنه فات وولىَّ . أنتم تعلمون أيها الزملاء أننى أول من ترأس تحرير **صحيفة الخديو** ... التى **سميت الوقائع** فيما بعد ، وبعد عودتى من فرنسا ... وكان الفضل فى هذا للباشا محمد على الذى وثق فىَّ ... وأولانى رعايته ... وشجعنى فى كل خطواتى فى الصحافة والترجمة ... إلى أن جاء الخديو عباس الأول ــــ الذى لا أظن أنه معنا الآن ــــ فنكل بى واضطهدنى ... ولا سيما أن ترجمتى **للدستور الفرنسى** ... الذى سميته فى حينه **الشرطة** ... قد أثارت حنقه ... لما يتضمنه من معانى **تمجد الحرية والمساواه والعداله وهى مبادىء الثورة الفرنسية العظيمة** ... والغريب أن الباشا محمد على لم يحتج أو يعترض أو يبدى استياءه من ترجمتى للدستور الفرنسى ... إذ كان **مستنيرا حكيما** ... إلا أن أولاده وأحفاده يبدو أنهم كانوا على خلاف ذلك .

عبد الله النديم : يا أستاذنا الجليل ... وهل أخذ محمد على باشا بما جاء فى ترجمتك لهذا الدستور ... أو ببعض منه ... كى يرسى من خلاله دعائم حكمه لمصر ؟

الطهطاوى : أنتم تظلمون الباشا دائما ... صحيح أنه لم يطبق أى بند من بنود هذا الدستور ... ولم يكترث كثيرا لقضايا الحرية والديمقراطية ... إلا أنكم تناسيتم أمراً هاما هو أن الباشا كان فى مرحلة بناء الدولة الحديثة ... فى مصر ... وأنتم تعلمون أن مرحلة البناء قد تتطلب الشدة والفردية فى الحكم أحيانا ... إن أفضال محمد على على مصر ... لا تحصى ولا تعد ... ولكن قاتل الله مزيفى التاريخ (**ويبدو أن كلمة الطهطاوى التى أشار فيها إلى أن مرحلة البناء تتطلب**

الشده والفردية فى الحكم قد أثارت بعض الحاضرين فسرت بينهم همهمة ... تكشف عن عدم رضاهم عما قيل ... وهنا يتدخل عباس العقاد قائلا :

العقاد : يا سيدى ... أخشى أن يتخذ كلامك هذا تبريراً للحكام الذين أرتضون الديكتاتورية منهجاً ... والاوتوقراطية سبيلاً للحكم ؟ ولكن السؤال الذى أود أن أثيره هنا هو ألا يمكن أن تسير عملية البناء والتشييد فى **معية واحدة** ... مع وجود الديمقراطية والحرية ؟ ... ثم علينا أن نسأل أنفسنا كيف يتحقق البناء ... والحاكم يستأثر بالرأى ... وينفرد بالحكم ؟ إن البناء ــ فيما أرى ــ يحتاج إلى تبادل الرأى ... ويتطلب المشوره ... وقد لا أحتاج إلى تذكيركم بأن كثيراً من النظم الديكتاتورية التى خبرها العالم ... **ومنها مصر** ... كانت تبرر ديكتاتوريتها بأن مرحلة البناء تستوجب ألا تبعثر الجهود ... ويضيع الوقت بالمشوره والاستماع إلى الرأى الآخر ... بل يؤكد ــ وهذا فى الواقع ضلال ــ أن **الصفوة الحاكمة** ... بما تملكه من قدرات خاصة ... وملكات متميزة تستطيع أن توجه دفة الحكم بحكمة واقتدار ... أثناء عملية البناء ... وهكذا توهم الديكتاتوريه البسطاء من الشعب من خلال ضلالات وسائل اعلامها والأدوات البشرية المسخرة لخدمتها ... فأرجو ألا يفهم من كلام أستاذنا العظيم الطهطاوى على أنه **رخصة لأولى الأمر** من أصحاب النزعة الأوتوقراطية فى الحكم لكى يفعلوا ما يشاءوا بشعوبهم وأن يتلاعبوا بمصائر أممهم .

الأفغانى : معذرة أيها الزملاء ... كى لا تتوه قضيتنا الأساسية فى

البحث عن أسباب أزمة الإنسان المصرى ... ومحاولة الخروج منها ... ولقد فهمنا مما أثاره الشهود وقبلهم الأخ الفلاح المصرى **صابر أيوب** أن أزمة الإنسان المصرى تتلخص فى ثلاثا قضايا ذات مضمون واحد ، وهذه القضايا هى : **احترام الإرادة ، والحرية ، وشرعية السلطة** فما رأى حكام مصر الأفاضل ... فيما شهد به الشهود ... ثم هل آن الآوان كى تعترفوا أنتم معشر الحكام المصريين ــ وأنتم أمام وجه المولى عز وجل ــ أنكم قد سلبتم الإنسان المصرى أعز وأغلى ما منحه الله تعالى ... وهى الحرية ... فهل آن لكم أن تتوبوا وتندموا على ما فعلتم فى هذا الإنسان ... الذى أعطاكم كل ثقته فعبثتم بها ... وجعلتوه أضحوكة العالم ... وهو صاحب تلك الحضارة العظيمة التى تربو على سبعة آلاف سنه ... ذلك الإنسان الذى يعد أول من عرف الاستقرار والزراعة والفن ... وأول من عرف أصول الحكم فى الوقت الذى كان فيه العالمون يسكنون الكهوف ، ولا يعرفون الاستقرار ... ويتعاملون بلغة الرموز والإشارات ... فهل آن الآوان ... كى نعيد لهذا الإنسان حقوقه التى سلبناه إياها ... هل آن الآوان كى نتجرد ونحن فى عالمنا الآخر من كل أهواء الدنيا ... فنعترف ونندم ... ونفكر من أجل هذا الإنسان فنبحث له عن مخرج لأزمته التى تسببتم أنتم أجمعين فيها ؟؟ لعلنا بذلك **نعوضه** بعضا مما فقده ــ ومعذرة إن قلت هذا ــ بسبب غروركم وصلفكم وعنجهيتكم **يا** حكام مصر .

النديم : أرجو يا سيدى ألا يكون نداؤك متضمناً زعماء مصر ومفكريها من غير الحكام ... فنحن ضحايا كما تعلم ... ولقد بذلنا كل ما فى

طاقة البشر خدمة لإنساننا المصرى ... وسخرنا أقلامنا وفكرنا ... نصرة له ... وهنا أتحدث بطبيعة الحال عن المفكرين والزعماء الوطنيين ... غير المهادنين للسلطة .

العقاد : ولكن لا ينبغى أن ننسى أن بعض مفكرينا قد أخطأ وتزلف ... ونسى أو تناسى المهمة الأساسية للفكر ... وهى أن يطوع لخدمة البشرية ... كل البشرية ... وليس لخدمة صفوة أو فئة أو طبقة متميزة فى المجتمع ... ومنها طبقة الملوك والحكام .

الشيخ محمد عبده : إن ما يقوله العقاد هو الحق بعينه ... مازال بعض الكتاب والمفكرين يتزلقون للحاكم ... ويبررون أخطاءه وقد يكون هذا التزلف خوفاً منه ... أو طمعاً فى رضائه .

النديم : صدقت يا سيدى ... وحتى الفن كان فى خدمة الحكام وهو أمر مثير للتقزز ... وأنا لا أتصور فناناً يحترم ذاته وفنه ويجعل من ابداعات روحه ... وقدرته على الخلق ... يجعل من هذا كله أداة مسخرة لخدمة الحاكم بإطرائه والمبالغة الممقوته فى مدحه أين هذا كله ... من عظمة **سيد درويش** ووطنيته ... هو الذى لم يتغن إلا باسم مصر ... وإلا من أجل قضية مصر ؟ أين هذا من كل من شعر حافظ وبيرم التونسى ... وهم الذين كانت تصلنا أخبارهم تباعا ؟

أحمد لطفى السيد : ولا تنسى نفسك يا نديم ... ودورك العظيم أنت وصنوع فى خدمة قضايانا الوطنية ... ولكن معذرة إن قلت أن **بيرم التونسى** ــ وهو حاضر معنا الآن ــ رغم أمجاده العظيمة فى مناهضة جبروت الملوك وظلم الحكام والمستعمر الإنجليزى ... إلا أنه أخطأ

أخطاء كنا كلنا نتندر بها حين أسرف فى مديح حكام مصر فيما بعد ١٩٥٢ ... فكانت سقطة لا نجد لها تبريرا حتى الآن .

بيرم التونسى : يا أستاذ جيلنا العظيم ... إنى أعترف بجريمتى هذه ... وما كان ينبغى وأنا صاحب هذا التاريخ فى التغنى بالحرية وفى مكافحة صلف الحكام وعنجهية المستعمر ... أن تكون لى هذه السقطة الشنعاء ... ولكن قل لى بالله عليك يا سيدى من هو الفنان أو الأديب أو الشاعر الذى عاش نفس الفتره ولم يترد فى ذات الخطأ .. لقد كان الشعب كله ـــ بما فيه نحن الفنانين والأدباء والشعراء ـــ كالمخدرين أو المسحورين المقهورين ... نفعل بشكل لا إرادى كل ما يوحى به الحاكم ... لقد زللنا جميعا نحن فنانو وأدباء الخمسينات والستينات من هذا القرن فى مصر ... وأنا أعترف بجرمى هذا ... وأعترف أيضا بأننا أنحرفنا بفننا وأدبنا عن الهدف الذى خلق من أجله الأدب والفن ... وبعث من أجله الأدباء والفنانون ... وهو أن نكون ضمائر الأمم فى يقظتها ... ووجدان الشعوب ... فى صدقها وفى طهارتها ... ولكن معذرة إن أخطأ بعضنا ، أو انحرف فإن القهر الذى عشنا فى ظله كان أقوى مما تحمله نفوسنا الذى اضناها كفاح ما قبل الخمسينات ... وها أنذا أعترف أننى قد أخطأت فى حق شعبى وأمتى ... فهل آن لكل مخطىء فى حق إنساننا المصرى أن يعترف ؟

محمد على (بإندفاع) : نعترف ... نعترف ... بماذا نعترف ؟

(أصوات من جنبات متفرقة ... نعم ... نعم ... بماذا نعترف ؟)

عمر مكرم : مهلاً يا أخوان ... مهلاً إن ما أثاره الأستاذ الأفغانى والتونسى من ضرورة الاعتراف باخطائنا فى حق الإنسان المصرى لم يأت من فراغ ... فاعتقد بعد الذى سمعناه من الفلاح صابر ... ومن أخواننا الذين استدعيناهم للشهادة ... وقبل هذا وذاك ... من واقع مساجلاتكم وحواركم أنتم الحكام بالذات لا نستطيع ... بعد هذا كله ... أن نكابر وندعىً بأننا — أو بعضنا — قد حقق للإنسان المصرى **إنسانيته** بصورتها الحقيقية ... وأعنى بها **احترام حريته** ... وتقديس **عنصر العقل فيه** ... ومن هذا المنطلق أضحت سلطة البعض بلا شرعية حقيقية . فما رأيكم أيها الزملاء ؟

اسماعيل : إذا كان الموقف ... هو موقف اعتراف ... فلنعترف بالتبادل ... وأن نعطى كل ذى حق حقه ... فأنا أعترف — وهذا حق — بأن حرية الإنسان المصرى لم تكن أمراً وارداً على الإطلاق فى منهج حكمى ... وقد تكون سلطتى بهذا التصور غير شرعية ولكن فى نفس الوقت لا تنكروا جهودى فى متابعة جهود جدى الأكبر محمد على فى تأسيس مصر الحديثة ... فأنشأت الأوبرا واهتممت بالتعليم وأوليت عنايتى بإنشاء خطوط السكك الحديدية ... وعملت على نقل كل ماهو مستحدث أو جديد من أوربا إلى مصر ... ولكنى اعترف بأننى أغرقت مصر فى ديون ما كان لميزانيتها المحدوده أن تتحملها وأنفقت الكثير من الأموال على المظاهر ... وخصوصا فى احتفالات افتتاح قناة السويس ... فكبلت مصر بقيود الديون التى كانت بداية التدخل الأجنبى فى مصر بدءاً بصندوق الدين وانتهاء بالاحتلال الانجليزى لمصر

الذى لا أشك فى أن ابنى توفيق سوف يقر بمسئوليته عن هذا .

النديم : لولا نزعتك غير الديمقراطية فى الحكم وولعك بالمظاهر لرأت مصر على يديك الخير ... كل الخير ... فلقد كنت محبا للعلم والثقافة ... وهذه حقيقة نقرها لك أجمعين ... ونحن لا ننكر جهود بعضكم ... لا سيما جدكم الأكبر محمد على الذى أعطى لمصر الكثير ... ولكن ما عاد على الإنسان المصرى ... هو القضية التى مازالت محل خلاف ... وعندما أقول الإنسان المصرى ... أقصد الإنسان المصرى ... **العقل** ... **والإرادة** .

محمد على : إذا كنتم حقيقة تعترفون بأفضالى ... فإنى أعترف أمام الله وأمامكم ... بأن ولعى بالسلطة وبعض أهوائى الذاتية حالا دون الاهتمام بالإنسان المصرى ... من حيث احترام عقله وإرادته ... وتأكيد صفة الإنسان فيه ... فقاتل الله الغرور ... الذى جعل إنساننا المصرى ضحية لأهوائنا ... ولنزعة التسلط فينا ... فمعذرة لإنساننا المصرى .

توفيق : أما أنا فماذا أقول ؟ وقد غررت بمصر كلها وتسببت لها فى كارثة الاحتلال بسذاجتى وكراهيتى لعرابى ورفاقه ... وخوفى على عرشى ... فتسببت بالحقد ... والكراهية ... وبعدم احترام روح الثورة فى الإنسان المصرى فى أن تنكب مصر فى أعز ما تملك وهو حريتها واستقلالها ... فمعذرة لك يا عرابى ... معذرة لك يا إنساننا المصرى ... معذرة لك ... يا مصر .

أحمد عرابى (بفرح يشوبه رنة حزن) : أخيراً اعترفت يا توفيق أخيراً ظهر الحق ... أخيراً ظهر الحق .

فؤاد : أنا لن أقول غير كلمة واحدة هى ... معذرة لإنساننا المصرى ... معذرة لمصر وكفى .

فاروق : (**وقد أحتمى فى والده**) : نعم يا والدى ... تاب الله علينا ... تاب الله علينا

الأفغانى (**موجهاً حديثه لجمال عبد الناصر**) : وماذا عنك أنت يا عبد الناصر ؟

جمال عبد الناصر : (**بعد لحظة تردد ... إلا أنه يندفع قائلاً** : قاتل الله الشيطان ... قاتل الله الغرور الذين زينا لى السلطة والسلطان وأبعدانى عن طريق الحق ... والحقيقة ... فأغريانى بالدنيا ... فضللت السبيل ... وأهدرت كرامة شعبى الذى أولانى كل ثقته ... وأودع مصيره أمانة فى عنقى فخنت الأمانة ... وتكبرت وتجبرت فخسرت الدنيا والآخرة . (يبكى بحرقة ثم يتوارى خجلاً فى ركن قصى)

عبد الحكيم عامر : صدقت يا جمال ... قاتل الله الغرور ... وقاتل الله شهوة السلطة ... فما كنا إلا عبيداً لهما ... فتحولت عبوديتنا للغرور والشهوة إلى نزعة شرهة فى التنكيل بإنساننا المصرى طالبين منه الخضوع والعبودية ... وهو السيد دائما ... فمعذرة له ... معذرة لإنساننا المصرى ... ذلك الإنسان الأسطورة ... فى الصبر ... وفى القدرة على التحمل ... وفى مقاومة عاديات الزمن .

الأفغانى : وماذا عنكم أنتم يا زعماء مصر من غير السلاطين والملوك والرؤساء ؟

سعد زغلول : نحن زعماء مصر السياسيين من غير السلاطين والملوك

والرؤساء ... لا ندَّعى أننا كنا ملائكة ... وأنا أتحدث عن نفسى على الأقل ... لقد كنت بشرا ... أخطأت كما يخطئون ... وأنتم تعلمون جميعا قصة كفاحى مع المستعمر الإنجليزى ... وكل من حاول أن يسيىء إلى مصر ... ولكننى أيها الزملاء اعترف بأننى أسأت التصرف فى كثير من الأحيان ... مرة ـــ ولعل هذا يذكره البعض ـــ مع عدلى يكن وما كان ينبغى أن يحدث هذا والأمة فى أمس الحاجة إلى تكاتف الجهود وتوحيد الكلمة ... ومرة أخرى مع المعارضة عندما توليت الوزارة لبضعة أشهر ...فكان لى موقف مازلت آأسف له ... مع أمين الرافعى والدكتور هيكل ... حيث كنت أظن أن موقفى المتشدد من المعارضة كان لمصلحة الأمة ... إلا أن الأحداث كشفت عن غير ذلك ... ويبدو أن الهوى الحزبى قد أغوانى أحيانا ... فمعذرة إن اسأت الظن بالبعض ... ولكننى أبداً ما أسأت للإنسان المصرى ... فما كان كفاحى إلا من أجله ... وما المجد الذى وصلت إليه إلا بفضله ... وما الأحلام التى راودتنى لرفعة شأن مصر ... إلا بحثه وتشجيعه ... فمعذرة مرة أخرى ... لكل من اسأت إليه بقصد أو بغير قصد .

مصطفى النحاس : وأنا لا أدَّعى الكمال ... فالكمال لله وحده ونحن كما قال زعيمنا الجليل سعد ... بشر ، نصيب أحيانا نخطىء أحيانا أخرى ... وأنا مثل جميع رؤساء الأحزاب رغم حسن نوايانا ... لم نسلم من الصراع ... والتطاحن والتشاحن كنتيجة لإغراء السلطة وسحر رئاسة الحكومة ... والحقيقة أنه لم يكن هناك إلا خاسر واحد كنتيجة لهذا الصراع وذلك التطاحن ... هذا الخاسر هو مصر والقضية

المصرية ... وها أنا أعترف بأن خصومتى لك يا مكرم (موجهاً حديثه لمكرم عبيد) ولحزب الكتلة لم يكن له ما يبرره فلقد كان مكرم (موجهاً حديثه للجميع) أحد القوى الوطنية الكبرى وأحد أعمدة حزب الوفد ... والتى لا شك أن قوة الحزب قد تأثرت إلى حد كبير بخروجه منه ... فها أنا ذا اعتذر له أمامكم ... وأقر بخطىء فى حقه ... **أما معاهدة عام ١٩٣٦** التى أسميناها فى حينها معاهدة الشرف والاستقلال ... فإنى أعترف أمامكم أنه ما كان ينبغى أن أوقع مثل تلك المعاهدة للمآخذ الكثيرة التى كانت عليها ... ولكننى كما وقعتها **ألغيتها** أيضا ... ولكننى ما كنت خائنا أبداً لإنساننا المصرى ... ولكم أن تتذكروا الظروف التى حكم فيها الوفد مستقلاً أو مؤتلفاً ... فلم تكن بالظروف الطبيعية ... فلقد كانت قضية الاستقلال هى شغلنا الشاغل ... وكان البعض (ناظراً إلى فاروق) فى غيبة عنا وكأن الأمر لا يعنيه ... فلم يتحقق الاستقلال من جهة ... ولم نستطع أن نرتقى بالإنسان المصرى من جهة أخرى ، ولعل ما أشار إليه **أحمد أبو الفتح** فى كتابه الذى نشر عام ١٩٥١ بعنوان **حكايات لمصر** ما يكشف عن حقيقة الأوضاع التى وصل إليها إنساننا المصرى فى أيامنا ... ولكن لا ينبغى أن ننسى ــ رغم هذا ــ أن هذا الإنسان قد تمتع بقدر هائل من الحرية فى التعبير والمعارضة ... وانظروا ... وتأملوا صحافة المعارضة فى زماننا لتروا إلى أى حد كان الفكر المصرى يتمتع بحريته ... ولكن ... أقول والألم يعتصرنى إن الإنسان المصرى رغم ما تمتع به من حرية ورغم ما وصل إليه من وعى سياسى بفضل انخراط الكثيرين فى

العمل الحزبى الجاد ... إلا أن محصله ما جناه هذا الإنسان مازال أمراً مشكوكاً فيه ... حيث كان ضحية لهوى الحكام وسوء تدبير بعض الزعماء ... فلعل الله يغفر لنا ويتوب علينا .

مكرم عبيد : صدقت يا نحاس ... فلقد كان الإنسان المصرى ضحية لهوى البعض منا ... وها أنا ذا أعترف أيضا بأننى لم أكن متسامحاً معك فكان **كتابى الأسود** ... الذى ما كان ينبغى أن يصدر منى ... فنحن رفيقا مسيرة كفاح واحد ... وما كان يجب أن تنهار وحدة صفنا وأن تتبعثر جهودنا فى أن يتصيد بعضنا الأخطاء للبعض ... ونحن أبناء حزب واحد ... وفكر واحد ... قاتل الله الغرور ... قاتل الله الغرور ... وغفر الرب لنا

« عندئذ ... بحركة عفوية ـ مصدرها الحب ـ يهم جميع الحضور ويقبل بعضهم نحو البعض الآخر ... فيتعانقون ... وقد اختلطت دموعهم ... وتعالت أنفاثهم ... تحمل رحيق الفرح وأريج الندم ... فبدوا وكأنهم فى نشوى ... من فرط ما كانوا فيه من سكرة الحب يستعذبون فيها ألم الندم ... وحلاوة التوبة ... تلك التوبة التى تهاوت من خلالها الحواجز ... وتدانت بسببها المسافات ... وتقاربت بسحرها الأضداد ... ثم هدأ الجميع ... وعيونهم تلمع ببريق هو إلى الحب أقرب ... وبدأوا ينظرون بعضهم إلى البعض الآخر ... نظرة الحبيب إلى الحبيب ... ثم سادهم صمت وخشوع ... وكأنهم فى محراب يتبتلون ... وبالصلاه يتعبدون ... وهكذا طهرت الدموع قلوبهم ... وكان إعترافهم بالذنب وإقرارهم بالإثم مدعاة لكى تهدأ النفس ويتطهر الروح ويصفو القلب »

الفصل الثالث
« مصر فى فكر التائبين »

« وهكذا شاءت الأقدار أن يتفق الأضداد بعد طول صراع ... وهكذا ظلل الحب مجلسهم ... وهو مالم يتحقق فى دنياهم الأولى ... فبدأوا ينعمون بالصحبة ... ويسعدون بالرفقة ... ونفاجأ بعبد الناصر وقد انتحى جانبا بفاروق فى حديث باسم ... ونشاهد عرابيا وقد مال على توفيق يسر إليه بأمر وقد ظهر الإغتباط على محياه ... بينما يقف اسماعيل أمام السيد الأفغانى بصورة تكشف عن تأدب وطاعة ... مستمعاً إليه ... وكأنه يلقن درس من دروس الوطنية ... ثم يترك عبد الناصر فاروقا متوجهاً إلى السيد قطب جالساً بين يديه ... بينما استغرق قطب معه فى حديث طويل ... تبدو حلاوته من التماع عينى عبد الناصر وحسن اصغائه إليه ... بينما يذهب إسماعيل إلى النديم مستئذنا من الأفغانى ... وتبدو مداعبات النديم لإسماعيل فيما نسمعه من قهقهة الاثنين معاً .

أما مصطفى النحاس ومكرم وسعد وهيكل ولطفى السيد فلقد عقدوا ما يشبه نصف الدائرة ... يتحدثون ، متبادلين الفكر والرأى ... ونلاحظ أن النحاس ومكرم وقد تشابكت أيديهما بحب وصفاء ... بينما بدى سعد وهيكل يمدح كل منهما الآخر عندما يبدى أى منهما رأياً أو ملاحظة .

وتتسع دائرة الحب حين نشاهد الجبرتى ومحمد على وبرفقتهما عمر مكرم وقد اتخذوا مكاناً بعيداً عن الجماعة ... مفترشين الأرض وقد ظللتهما سحابة حانية ... جعلت من حديثهم الهادىء الوقور ... آية من آيات الحب والصفاء .

وهكذا أضحى لقاء الأضداء لقاء للأحبة ... لقاء لتدبر مستقبل مصر وللبحث عن حل لأزمة الإنسان المصرى بإخلاص التائبين وتجرد النادمين »

وهنا وقف جمال الدين الأفغانى قائلا :

الأفغانى : وبعد أيها الأصدقاء ... أيها الأحبة ... بعد أن تصافت قلوبنا ... هل لنا أن نبحث عن حل لأزمة الإنسان المصرى ... ولكن اسمحوا لى أن اتنحى عن إدارة المناقشة ... على أن يتولى **لطفى السيد وعباس العقاد** برئاسة أستاذنا **الطهطاوى** إدارة هذه المناقشة .

رفاعة رافع الطهطاوى : شكراً للشيخ الأفغانى ... وإن كنت أرجو ألا غيب عنا بفكرك ... ونحن نبحث عن مخرج لإزمة إنساننا المصرى ... هلاً نطرح أفكارنا ... حتى نصل إلى رأى نرتضيه جميعا ؟

محمد على : لو تسمحوا لنا أيها الزملاء ... لقد اتفقنا نحن حكام مصر السابقين أن نترك لكم أنتم المفكرون والزعماء من غير الملوك والرؤساء مهمة الحوار والجدل حول **أنسب الصيغ** لحل أزمة الإنسان المصرى ... على أن يكون تدخلنا ــ إذا رأينا لذلك ضرورة ــ بالقدر اليسير ... حتى نفيد من عمق حواركم وعظيم فكركم ... فاسمحوا لنا أن نستمع لكم ... فلقد بهرنا بأسلوب تحليلكم لقضايا السياسة والحكم .

الطهطاوى : أهلاً بكم مستمعين أو مناقشين ... فالقضية قضيتنا جميعا ... والآن نفتح باب المناقشة والحوار .

أحمد لطفى السيد : اعتقد أن السؤال الذى ينبغى أن نطرحه كتمهيد للبحث عن حل لأزمة الإنسان المصرى وإن كنا أثرناه من قبل هو : **أين**

تكمن أزمة هذا الإنسان ؟

عباس العقاد : ومن الممكن أيضا ــ لو سمحتم لى ــ أن تثير التساؤل بصورة أخرى وهى : إلى أى حد نستطيع أن نعتبر الإنسان المصرى إنسانا متخلفا ؟

د . هيكل : أعتقد أن قضية **التخلف** هى المدخل الطبيعى لمناقشة أزمة الإنسان المصرى ، فقط علينا أن نحدد المحاور التى سوف تدور حولها مناقشاتنا لظاهرة تخلف الإنسان المصرى ... وأعتقد أنها لا تخرج عن ثلاث محاور رئيسية هى تحديد مظاهر التخلف والبحث عن الأسباب ... ثم أخيرا المحور الخاص بطرح الحلول بحثا عن المخرج وسعيا وراء الطريق الأمثل ... لكى يتجاوز الإنسان المصرى أزماته

الطهطاوى : إذن القضية كما ترون هى قضية تخلف المجتمع المصرى ... ولكن هل لنا أن نحدد معنى التخلف ... وبأى معيار حكمنا على المجتمع المصرى بالتخلف ؟

محمد عبده : إذا أذن أستاذنا الطهطاوى أن نلتزم بالمحاور الثلاثة التى حددها هيكل ... على أن نأخذ فى الاعتبار التساؤلات التى أثرتها سيادتكم ... وإذا كان لنا أن نبدأ المناقشة فلنحدد أولا **معنى التخلف ومعاييره ... وما هو فى تصوركم النموذج الذى تخلف عنه المجتمع المصرى ، وما هى المجتمعات ــ فيما ترون ــ التى أضحى المجتمع المصرى متخلفا دونها ؟**

سيد قطب : (**بتؤدة وهدوء**) : التخلف فيما أتصور هو تخلف المسلمين ومنهم الإنسان المصرى عن الأخذ بأسباب **المنهج الإسلامى**

(**ومن لمن يحكم بما أنزل الله أولئك هم الكافرون**) صدق الله العظيم ، لقد ضل المسلمون حيثما تركوا **منهج الله** ... وهو المنهج الصالح لكل زمان ومكان ... ولقد وصل المسلمون إلى قمة مجدهم وأوج عظمتهم عندما جعلوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ نبراسين يضيئان لهما الطريق فى الدنيا وصولاً إلى عالم النعيم . فالنموذج إدن الذى تخلف عنه المجتمع المصرى هو **النموذج الإسلامى الصحيح** . أما المجتمع الذى عنه الإنسان المصرى ... فهو مجتمع المسلمين الآوائل ... مجتمع أبى بكر وعمر ... مجتمع العدالة والإخاء والمساواه

الأفغانى : الحق ... كل الحق معك يا أخ سيد ... ولكن عادة عندما يذكر لفظ التخلف ــ وذلك حسبما عرفت من إختلاطى الدائم بالمفكرين الاجتماعيين والاقتصاديين الذين يفدون إلى عالمنا هذا وأحرص بشدة على لقائهم ــ فعندما يذكر لفظ التخلف ، فإن القياس هنا ــ وهذا أمر ينبغى أن نأسفْ له ــ يكون بدول الغرب فى أوربا وأمريكا وغيرها من المجتمعات التى نالت حظاً وفيراً من الرقى والتقدم فى الصناعة والاقتصاد وإرتفاع مستوى الوعى الثقافى والسياسى وإرتفاع نسبة المتعلمين وزيادة المنفق على مظاهر الثقافة والفنون والأدب ... فضلاً عن إرتفاع مستوى المعيشة ... ثم قبل هذا وذاك إحساس الإنسان فى تلك المجتمعات بآدميته وبإحترام عنصر العقل والوجدان فيه ... وأنه مالك لإرادته ... يشعر أنه فى مجتمع هو مالكه ... فأين لمجتمع المصرى من هذا كله ؟

الجبرتى : إذا كان الغرب قد أصاب ما أصاب من رقى وتقدم فيما

تتصورون ... إلا أننى أرى أن كل ما حققه الغرب لم يكن إلا محض ضلال ومثالاً للعته الإنسانى ... أين هذه النماذج من عظمة النموذج الإسلامى العظيم ... لذلك فأنا أويد الأخ سيد قطب فيما ذهب إليه

العقاد : رغم تأييدى المتحفظ لما تذهب إليه يا شيخنا الجليل ، إلا أننا ينبغى أن نسأل أنفسنا : لماذا أصاب الغرب ما أصاب من رقى وتقدم ووصلنا نحن المسلمون إلى هذا التخلف والتأخر ؟ فهل أجد لديكم تفسيراً ؟

الشيخ على عبد الرازق : التفسير أبسط مما تتصور يا عقاد ... لقد أخذ الغرب أعظم ما فى الإسلام ... وهو إحترام الإنسان وحريته وتقديس عنصر العقل والإرادة فيه ... وهذا لا شك سر تفوقهم ومن أهم أسباب نجاحهم ... أما نحن المسلمون فلست أدرى ما الذى أصابنا ، هجرنا ديننا وغضضنا الأبصار عن أروع ما فيه وهو **تكريم الإنسان** ... واحترام إنسانيته ... ولكن للأسف أعمتنا السلطة ... وأغرتنا الدنيا ... فبعد أن كنا صفوة العالم وقادته أصبحنا بسبب عدم احترامنا للإنسان فينا ... فى ذيل الأمم والمجتمعات إن القضية ليست قضية الإسلام ... بقدر ما هى قضية المسلمين .

الطهطاوى : إذن هى **الحرية** أيها الزملاء ... إذن هى مشكلة **السلطة** ... فالإنسان فى دول الغرب حر كما تعلمون فى حدود القانون الذى شارك هو أيضا فى صنعه ... فالفرد هناك ليس خادما للسلطة ، بل هو سيد عليها ... وهذا هو جوهر الإسلام يا سادة . إن سر تقدم الغرب هو إحترامه لذات الإنسان ... فأين نحن منه ؟؟ ولا أريد أن

أذكركم بعظمة **الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩** ودستورها العظيم الذى يمكن تلخيصه فى كلمة واحدة هى احترام حرية الفرد وإرادة الإنسان .

العقاد : إذن عدنا إلى **شرعيت السلطة** ... فهل نستطيع أن نقول أن سر تقدم الغرب هو أن السلطة فيه سلطة شرعية وأن معنى الشرعية هنا هو أن الأفراد **يشاركون فى صنعها** بالاختيار الحر ... والانتخاب غير المقيد ... كما أن الشعب هناك يملك حق نقدها وتوجيهها وإسقاطها فى حالة انحرافها ... وهنا لا أعتقد أننى ينبغى أن أذكركم **بصحافة الغرب** ومدى ما تتمتع به من **استقلالية وحرية** ... ومن أنها نوافذ مفتوحة لكل فكر ... وكل رأى حر ... ثم لا تنسوا برلمانات الغرب ... ومدى قوتها وقدرتها على **إسقاط** الحكومات ... وبالتالى مدى احترام الحكومات لها ... فأين المجتمعات المتخلفة من هذا كله ؟

أحمد لطفى السيد : نفهم من هذا أن احترام الغرب للإنسان والجانب الفكر والإرادة فيه وحقه فى النقد والمعارضة هى الضمانات الحقيقية لاستمرار تفوقه ... بينما تجاهلنا نحن ـــ وأعنى بذلك على وجه الدقة السلطة ـــ لإرادة الإنسان المصرى وفكره هو سر تأخرنا وتخلفنا ... ثم علينا أن نسمى الأشياء بأسمائها إن الغرب عرف الديمقراطية الحقيقية ... بينما نحن مازلنا متعثرين فى خطواتنا نحو تعيين هويتنا السياسية .

عبد الله النديم : لا شك أن إفتقار المجتمعات إلى الديمقراطية الحقيقية يعرضها كثيرا للزلل ... ولكن ألم يخطر ببالكم أن للسياسة والحكم رجالها ... وإن افتقرت الأمة ـــ أى أمة ـــ لها تكون قد افتقرت إلى أهم

مقوماتها . بمعنى أن الحكام أيًا كانت هويتهم ملوكاً كانوا أو رؤساء لابد أن يكونوا **رجال دولة وسياسة** ، يجمعون بين العلم والخبرة والإدراك الواعى لنفسية الشعوب .

العقاد : الحق معك يا نديم ليس كل فرد يصلح أن يكون حاكما أو سياسياً محترفاً يملك الخبره والعلم والفن ... ولكن ما أود أن أؤكده هو أن تكوين الساسة بهذه الكيفية لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال ما يمكن أن نسميه **باللغة الحزبية بتربية الكوادر وتنميتها** من خلال الأحزاب السياسية حتى يكون هناك صفوف ثانية وثالثة تؤهل لممارسة السياسة والحكم ... وهذه هى الظروف الموضوعية لخلق الزعامات السياسية وحكام المستقبل وهى أمور لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال بناء ديمقراطى حزبى حقيقى .

الشيخ على عبد الرازق : إذن يمكن القول إنه من بين أسباب التخلف أن بعض القائمين على الحكم فى بعض المجتمعات **غير مؤهلين له** ... حتى لو كانوا ممن ينتمون بحكم الوراثة إلى صفوات المجتمع .

أحمد لطفى السيد : معذرة يا أخى فإن النظام الديمقراطى بصورته المتكاملة الحقيقية لا يتيح للقلة ... أيًا كان تميزها أن تتخلق ومن ثم أن تحكم ، حيث أن السيادة فى هذا النظام ــ كما نعلم ــ للشعب كله ، وكم عانت المجتمعات من الصفوات الدينية والعسكرية والإقتصادية عندما قدر لها أن تمتهن السياسة وتحترف الحكم . إن من بين أسباب نكبات الأمم وسر تأخرها عندما تستأثر الصفوه ــ أى صفوة عسكرية كانت أم إقتصادية ... الخ ــ بالحكم وتتوارثه جيلاً بعد جيل .

الأفغانى : إذن أنتم ترون فى الديمقراطية الحقيقية هى المدخل المنطقى لعلاج أدواء الشعوب المتخلفة ؟

مكرم عبيد : نعم يا سيدى لأن الديمقراطية هى الصيغة الناجحة لكى تحقق السلطة شرعيتها ، وعندما تتحقق الشرعية فى الحكم ... تتضاءل أمامها كل فرص الانحراف ... وتصبح كل تصرفات الحكام بمأمن من الزلل ، إذ أن هناك عيونا للشعب تراقبها ولا تجد بأساً من أن تحاسبها .

الشيخ محمد عبده : إذن المدخل للإصلاح هو المدخل السياسى ، رغم ما قد يثيره البعض من أنه بالاقتصاد الجيد وبالسياسة الاقتصادية الرشيدة تتحقق موازين العدل للشعوب ، وترتقى من خلاله الأمم .

العقاد : معذرة يا سيدى ... علينا أن نسأل أنفسنا : كيف تتحقق السياسة الاقتصادية الرشيدة دون بناء سياسى قوى يحدد ملامح سياسات الأمة من إقتصاد واجتماع وإعلام وثقافة وعلم ... المسألة ببساطة إذا أردنا مجتمعا سليما فى كل مظاهره بما فيه الاقتصاد فعلينا أن نشيد بناء سياسياً متكاملاً ... لأنه قوة هذا البناء وتكامله سوف تنعكس بلا شك على كل مقومات الحياة بعد ذلك .

لطهطاوى : لقد ذكرت يا عقاد العلم والثقافة ... وعلى ذكرهما أود أن اؤكد أن موقف العلم والعلماء من خريطة المجتمع يسهم إلى حد كبير فى رقى الأمم أو تأخرها ... بمعنى أن الأمم التى تجعل للعلم وللعلماء مكانة متميزة فى المجتمع بأن تنظر إلى العلم باعتباره (**قيمه**) لا يستقيم لمجتمع بدونها هى الأمم التى أصابت نجاحات عظيمة فى الرقى التقدم ... وعندما أقول العلم ، لا أعنى العلم الطبيعيفقط ... وإنما

أقصد أيضا علوم الإنسان والمجتمع .

ومن المؤكد أيها الزملاء أننا لا نتوقع من مجتمع يشعر فيه علماؤه ومثقفوه **بأنهم غرباء فى مجتمعهم** ... وبأنهم كمن يحرث فى البحر ... وأنهم غير آمنين على يومهم ... وغير واثقين من غدهم ... وغيرهم من المرتزقة والآفاقين وقارعى الطبول للحكام وأولى الأمر ينعمون برغد العيش وبحياة هانئة مستقرة ولا أتصور أن مجتمعاً بهذه الوضعية غير المنطقية سوف يرجى منه خيراً .

هيكل : لعل ما أشار إليه أستاذنا الطهطاوى يفسر لنا ظاهرتين ، الأولى تتعلق بهجرة خيرة علمائنا ومثقفينا إلى خارج الوطن حيث يجدون التقدير المادى والأدبى والإمكانيات اللانهائية لانجاز مشروعاتهم العلمية ... والظاهرة الثانية هى حالة اللامبالاة التى يعيشها كثير من علمائنا ومثقفينا من قضايا مجتمعهم ... ومن متغيرات العصر الذى يعيشون فيه ... لقد استغرقتهم عملية البحث عن لقمة العيش عن أى مشاركة ايجابية فى مشكلات المجتمع وأقضيته المتعددة .

مصطفى النحاس : إن لا مبالاة العلماء والمثقفين هى جزء من ظاهرة عامة تخص الإنسان المصرى وهى التى اجتمعنا من أجلها ... وأعنى بها ظاهرة عدم الاكتراث بكل ما يدور من حوله ... إلا إذا كان أمراً متعلقاً بأمور المأكل والمشرب ... والإنسان المصرى لم يكن أبداً مجبولاً على هذا بل إنه معذور بلا شك ... أنه ويا للأسف لم ينشأ التنشئة السياسية السليمة التى تشعره بأنه صاحب هذا المجتمع ... وأن حياة هذا المجتمع وفناءه هو أمر متوقف على مدى ما يمكن أن يقدمه هذا الإنسان لمجتمعه .

عمر مكرم : هل يمكننا أيها الزملاء أن نقول إن حالة اللامبالاة هذه التى أصابت الإنسان المصرى ترجع إلى **الثقة المفقودة بين الحاكم والمحكوم ؟**

أحمد لطفي السيد : من المؤكد ياسيدى أن قضية فقدان الثقة هى جزء من قضية أكبر هى قضية منهج الحكم ... وفلسفة السلطة الحاكمة تصورات الشعب عن الحكام ... وهى تصورات ساهم الحكام نفسهم فى صياغتها ... ولكن ما أود أن أؤكده هو أن **ظاهرة فقدان الثقة ليست وليدة الحاضر ... وليست** الظروف **الراهنة** وحدها **المسئولة** عنها ... بل هى ظاهرة قديمة أفرزتها مجموعة من العوامل المتشابكة والمتداخلة ، ويقف على قمة هذه العوامل ... **المنهج الأوتوقراطى فى الحكم** . ولا شك أن ظاهرة فقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم سوف تستمر فى أى مجتمع من المجتمعات باستمرار المنهج غير الديمقراطى فى الحكم ... ومن المؤكد أن الظاهرة سوف تتلاشى إذا ما قدر لهذه المجتمعات أن تتخذ من الديمقراطية سبيلا ومن الحرية منهجاً .

سيد قطب : لاحظت أنكم تتحدثون عن المجتمعات الغربية وكأنها جنة لله فى الأرض ... وعن الديمقراطية باعتبارها الدواء السحرى لعلاج كل دواء الشعوب المتخلفة ... ونسيتم إن إسلامنا الحنيف قدم أعظم منهج عرفته البشرية ... ومع ذلك نتركه ونتمسك بمناهج دنيوية ضررها أكثر ن نفعها .

شيخ محمد عبده : نحن يا أخ سيد نتحدث عن ديمقراطية الغرب عتبارها نموذجاً لحرية الرأى فى مقابل النماذج الدنيوية الأخرى ... ولكن

من قال أننا تناسينا النموذج الإسلامى العظيم ... وأملنا أن يطبق فى كل أرجاء الدنيا ... إن عظمة الإسلام لا ينكرها إلا كل جاحد حقود .

العقاد : إن تطبيق المنهج الإسلامى يتطلب نوعية خاصة من الحكام من ذوى القدرة على الإدراك الناضج لمضمون الإسلام وقابلية على استيعاب متغيرات العصر بما لا يتناقض وديننا الحنيف ... فأين هم هؤلاء الحكام ؟

أما ما أثاره الأخ قطب فيما يتعلق بنموذج الديمقراطية الغربية ومن أنها ليست الفردوس المنشود ... فمن المؤكد أن ما حققه الغرب من مظاهر للرقى والتقدم يرجع إلى الديمقراطية كمنهج وكأسلوب للحكم والحياة . أما ما يتردى فيه الغرب من أخطاء فيرجع إلى مجموعة من الأسباب المتشابكة ليس من بينها الديمقراطية على أية حال ... ولكن قد تكون من بينها التخلى عن بعض القيم الدينية والفراغ الروحى الرهيب والاستغراق غير المحسوب فى الماديات ... ولكن من المؤكد أن هذه المساوىء لتتضاءل أمام **أخطبوطية الحكم الشيوعى** ... الذى يبعث الظلمة والكآبة فى القلب والعقل معا ... ولكن ما أسعد الإنسان لو طبق المنهج الإسلامى ... ولكن المشكلة كما طرحتموها من قبل ليست فى الإسلام بل فى المسلمين .

النديم : إذا كان علينا أن نبحث للإنسان المصرى عن مخرج لأزمته فلا سبيل لذلك إلا بأن تعود لهذا الإنسان إنسانيته ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بسيادة الديمقراطية الحقيقية .

أحمد لطفى السيد : طبعا المقصود بالديمقراطية الحقيقية ، الديمقراطية

الحزبية ... التى تتنافس فيها الأحزاب لكى تقدم حير ما عندها من فكر وعمل ... لمصر ولحاضر مصر ومستقبلها ... على أن تكون لأحزاب الأقلية قوتها وفاعليتها فى رقابة الحزب الحاكم وتوجيهه بل وإسقاطه إن انحرف عن إجماع الأمة ... وذلك من خلال برلمان حر وصحافة حره ... تكون صوتا لمصر وضميراً يقظاً لها .

الشيخ على عبد الرازق : ولا تنسى يا لطفى ضمانات الانتخابات الحره ، بحيث يتاح لكل حزب أن يكون له مرشحوه سواء فى انتخابات رئاسة الدولة أو رئاسة الحكومه ... وهذا يعنى أن يكون هناك أكثر من مرشح لرئيس الدولة ونوابه ... كذلك الأمر بالنسبة للمحافظين ... بحيث يرشح كل حزب ممثله عن كل منصب بدءاً برئيس الدوله وإنتهاء برؤساء مجالس المدن والقرى ... على أن يتم الإختيار بالانتخاب الحر وليس بالاستفتاء ... لأننا نعلم أنه كثيرا مازيفت إرادة الإنسان المصرى **بأكذوبة الاستفتاء** .

العقاد : على ذكر اقتراحات الشيخ على عبد الرازق ... أود أن أشير إلى حقيقة قد أكون نوهت لها من قبل وهى أن الأحزاب لن تتحقق لها الوفرة فى عدد الأفراد المؤهلين لممارسة السياسة والحكم ما لم يكن هؤلاء الأفراد قد دربوا سياسياً وعقائدياً ولن يتحقق ذلك فيما أتصور إلا من خلال تبنى **فكرة الكوادر السياسية** ، بحيث يكون لكل حزب كوادره الخاصة التى ينشئها وينميها ويدربها ويصقلها ويعدها لممارسة السياسة والحكم فى المستقبل ، وهو الأمر الذى أصبح مسلمة من مسلمات المجتمعات الديمقراطية الحزبية ... وكما كان حادثا فى مصر **قبل**

الخمسينات من القرن العشرين ... بحيث يكون هناك مصدر دائم ... ونبعا أبدياً لا ينضب لتخلق الأفراد المؤهلين لتولى أمور السياسة والحكم .

الأفغانى : أعتقد أنه بهذا التصور تصبح لا مبالاة الشعب المصرى أمراً غير مطروح على الإطلاق ... نظراً لإحساسه بأنه لا يعيش فى مجتمع غريب عنه ... مجتمع يمتلك فيه إرادته .

الطهطاوى : ولكن أرجو أيها الزملاء ألا ننسى **الدستور** باعتباره وثيقة هامة وضرورية ... ذات قدسية خاصة ... لا تحيا الأمم بدونها ، حيث يتحدد فيه شكل الدولة ونظام الحكم فيها بدقة ، كما تتعين فيها حقوق الحاكم والمحكوم ، وواجبات كل منها ... فضلاً عن علاقة السلطات المختلفة بعضها بالبعض الآخر ... شريطة أن يحترم هذا الدستور ببنوده المختلفة من الحاكم قبل المحكوم ، وهو الأمر الذى نراه فى كل دول العالم التى تحترم شعوبها وتقدس حقوقها .

مكرم عبيد : صدقت يا سيدى ولكن أرجو أن تتأكد أنه عندما تتحقق الديمقراطية الحقيقية تصبح كل انعكاساتها ــ ومنها الدستور ــ أمرا ميسوراً ... فكن مطمئنا يا سيدى فإن الديمقراطية الحقيقية هى العاصم ... من كل زلل أو انحراف .

هيكل : من الواضح إذن أننا تبنينا **المدخل السياسى لأنه تأكد لنا جميعا أنه المدخل المنطقى والطبيعى** لتحقيق مجتمع الرفاهية والتقدم .

الجبرتى (بعد طول صمت) : ولكن اعذرونى أيها الزملاء إن أبديت لكم مخاوفى نحو مدى إمكانية تحقيق أحلامنا هذه ؟

الشيخ محمد عبده : يا شيخنا الجليل ... إن جلائل الأعمال ... وعظيم الأفعال لم تكن فى الأصل إلا محض خيال ... ومجرد أحلام ... ولكن مالنا نسمى تصوراتنا هذه أحلاماً ؟ أنها حقيقة وواقع ... وإن كنا نحن المصريون لم نعشه بصورته المتكامله ، فلقد خبره غيرنا ومارسه بصدق وبإخلاص وتفانى ... فكانت تلك النتائج المبهرة التى يعيشها العالم المتقدم اليوم .

عبد الله النديم (متدخلاً) : إنى أقدر مخاوفك يا سيدى ولا سيما وأن تجارب ما بعد الخمسينات فى مصر قد توحى فى بعض مراحلها باللا أمل ولكن **ثق إن القيادة الراهنة فى مصر** ... وإن **تعثرت** فى بعض خطواتها إلا أن ما طرحناه من حلول وتصورات **لا أعتقد أنه ببعيد عن إدراكها** ولكن ما أود أن تدركه القيادة الراهنة هو أن **أزمة الإنسان المصرى هى فى جوهرها أزمه سياسية وليست أزمة إقتصادية** كما يبدو من ظواهر الحياة اليومية .

سعد زغلول : وعلى ذكر الزعامات وعلاقتها بالأزمات ... أود أن أؤكد أن الشعوب التى أضناها الاستعمار من جهة وديكتاتورية الحاكم الفرد من جهة أخرى ... وكافحت طويلاً لكى تتخلص من هذا وذاك غير مستعدة على الإطلاق لكى تتعايش مرة أخرى مع أساليب للحكم تعصف بكل جهادها فى سبيل تحقيق الحرية ... ولا أشك على الإطلاق فى إحتمالية تكرار هذه الشعوب لكفاحها الذى لا أعتقد أنه قد وهن بعد ... وتحاول أن تدمر كل محاولات العصف بإرادتها ... والنيل من إنسانيتها ... فهذه الشعوب على عكس ما يعتقد بعض

الحكام من الذكاء والفطنة ... بل والدهاء ... الذى عادة ما كان يتجلى فى كثير من المواقف المصيرية ولعل تاريخ هذه الشعوب خير شاهد على ما أقول .

محمد على : أنا من ناحيتى أشهد بذكاء الإنسان المصرى وفطنته وأزيد عليها صبره الطويل .

هيكل : هذا الصبر الذى عادة ماكان يفسر من قبل المؤرخين على اعتبار أنه تخاذل وعدم اكتراث جبل عليه هذا الإنسان المصرى ... ولكن علينا أيها الزملاء أن ننصف هذا الإنسان ... إن هذا التخاذل وعدم الإكتراث ـــ إن وجدا ـــ أفسره أنا من ناحيتى على أنه حالة من حالات **فقدان الأمل** والشعور **بالقنوط** ... وعلينا إذا أردنا الإنصاف والدقة فى التفسير أن نؤكد مسئولية الزعامات والحكام بمناهجهم فى الحكم التى تكاد أن تكون متماثلة ... عن هذه الحال التى وصل إليها إنساننا المصرى ... فكان صوابا منا أن نبدأ ببيت الداء وهو منهج الحكم .

الفلاح المصرى صابر أيوب (متداخلاً فى الحديث بإستحياء) : معذرة يا سادة ... وإن كنت لا أفهم كثيرا فى تفاصيل ما تقولون ... ولكن لو تأذنوا لى أن أؤكد على حقيقة أود أن تأخذونها فى اعتباركم أثناء مناقشاتكم حول ازمتنا نحن شعب مصر من الفلاحين والعمال الكادحين هذه الحقيقة هى أننا نريد أمراً واحداً **هو أن نشعر أننا فى مجتمع نحن مالكوه ... نحن أسياد فيه** ... مجتمع تحترم فيه ذواتنا ولا تزيف فيه إرادتنا ... أما كيف السبيل إلى تحقيق ذلك ، فهو أمر متروك

لكم ... وإن كنت قد فهمت شيئا فاعتقد إنكم على مقربة من الوصول إلى الحل .

الجبرتى (وقد بدت عليه علامات الفرح بما سمعه من صابر) :

نعم يا صابر ... هذا هو بالفعل ما توصلنا أو نحاول أن نتوصل إليه ... فكن على ثقة فنحن أمناء على إنساننا المصرى فيما نفكر فيه ... وهى أمانة سوف نحملها نحن المفكرون إلى أبد الآبدين ... ولن يخذل الله أمة عرف فيها مفكروها أنهم ضميرها الحى الذى لا يموت وعقلها المفكر ... اليقظ ... المتألق أبداً . وإن الشعوب قد تغفر أحياناً لرؤسائها وملوكها خيانتهم لها ولكنها لا تتسامح أبداً ... ولا تغفر أبداً لمن خان عهدها من مفكريها وحملة رايات الفكر فيها .

(وبعد لحظة صمت ... بدى الجميع ... وكأنهم فيما قالوا يتأملون ... وفيما تحاوروا يسترجعون ... وهنا كانت للأفغانى كلمة :

الأفغانى : إذن نحن غير مختلفين على **حتمية الحل الديمقراطى** كمفتاح لحل أزمة الإنسان المصرى ... ولكن ما أعتقد أنه فى حاجة إلى تأمل ... ومزيد من الحوار هو **السبيل** إلى تحقيق تصورنا هذا ... **وضمانات** استمرار هذا التصور أو هذا المنهج .

أحمد لطفى السيد : إذا أذنتم لى ... أن أقترح بهذا الشأن إقتراحاً مؤداه أن نستثمر **الحرية النسبيه** التى يعيش فى ظلها المجتمع المصرى الآن ... فيتقدم مفكرونا وعلماؤنا والصفوة المثقفة فى مصر **من مؤيدى السلطة أو من معارضيها** ، يتقدمون إلى الحزب الحاكم مطالبين بعقد **جلسات**

للحوار الحر على أن تذاع تلك الجلسات علنا بكل الوسائل السمعية والبصرية ، وأن تطرح فيها قضايا المجتمع المصرى بكل أمانة وصدق وعلى الجميع أن يتقدم سواء أكانوا من اليمين أو اليسار أو ممن ينتمون إلى الأحزاب غير الدنيوية فضلاً عن المستقلين ، فعليهم أن يتقدموا جميعا باقتراحاتهم وتصوراتهم لإقالة الإنسان المصرى من عثرته ... ولا أتوقع لهذه اللقاءات نجاحاً إلا إذا تخلت السلطة الحاكمة عن تصوراتها عن وضع المعارضة فى مصر ... وقدرتها على الإسهام فى وضع حد لتفاقم أزمة الإنسان المصرى . فهذه الجلسات إذا أردنا دقة فى التعبير هو شكل من أشكال **المصالحة الوطنية** شريطة أن يتسع صدر السلطة الحاكمة للحوار الحر الذى لا أعتقد أنه لا يبغى إلا مصحلة مصر .

الشيخ محمد عبده : إقتراح طيب ... وإن كان البعض حسبما سمعت الآن يشكك فى قدرة السلطة على الاستجابة الفورية لمثل هذا الإقتراح ... نظراً لموقفها المتأرجح من المعارضة ... إلا أننى وبناء على معرفتى بطبيعة السلطة الحاكمة فى مصر الآن حسبما رواه لنا القادون الجدد إلى عالمنا هذا من مصر ، اعتقد بناء على هذه المعرفة التى **تكشف عن ذكاء هذه السلطة ووطنيتها** ... رغم ما يشوب ذلك من عثرات وأخطاء لا سيما فى الموقف من المعارضه والحريات أنه يمكن التنبؤ بإمكانية استجابة هذه السلطة لهذا النداء لتحقيق **المصالحة الوطنية** وتدبر **مستقبل مصر** ... لاسيما وأن السلطة الحاكمة والأحزاب المعارضة حتى المستقلين يجمعهم هدف واحد ... هو تحقيق مصلحة الأمة المصرية والشعب المصرى .

عبد الله النديم : ولكن هذا التفاؤل يا سيدى لا ينفى إحتمالية رفض السلطة الاستجابة لمثل هذا النداء ... أو مثل هذه الدعوة الموجهة من مفكرى مصر لزعمائها الحاليين ، فلنفترض إذن أن السلطة الحاكمة لم تستجب لهذه الدعوة أو لم تستجب للفكر الذى يسفر عنه هذا الحوار إذا افترضنا أنها استجابت لعقد مثل هذه اللقاءات ... فما العمل إذن إذا لم تستجب السلطة على أى من المستويين ؟

سعد زغلول : إذا عجز المفكرون عن إقناع السلطة الحاكمة بضرورة عقد مثل هذه اللقاءات ... فإن ما يعجز عن تحقيقه المفكرون **لا أشك على الإطلاق فى قدرة الشعوب على إنجازه** .

الشيخ محمد عبده : ولكن لا تنسوا أيها الزملاء أنه بالعقل تستطيع الشعوب أن تنجز ما لا يمكن أن تحققه بالعنف ... لذلك كنت دائما ضد **العنف والثورة** بصورتهما الدموية ... فالاصلاح القائم على الإقتناع والإقناع والمنطق أجدى ـــ فيما أتصور ـــ من العنف والثورة ... اللذين لا نأمن مغبتهما .

جمال عبد الناصر : قد تكون الثورة ضرورة فى أحيان كثيرة ؟

الأفغانى : أنا معك يا جمال فى أن الثورة قد تكون ضرورة أحيانا ... ولكن للثورة شروطا ومواصفات خاصة ... إذا لم تتوفر تصبح الثورة محض تهريج وعبث ... أو على أحسن تقدير تصبح مجرد إنقلاب ... ونحن نعلم كم عانت الشعوب ولا سيما الشعوب المتخلفة من جراء الإنقلابات ... لاسيما الإنقلابات ذات **الصبغة العسكرية** .

هيكل : الثورة حق أقره المفكرون للشعوب ... إذا ما رأت فى

السلطة الحاكمة اعوجاجاً ... فها هو **جون لوك** يدعو الشعوب إلى الثورة كرد فعل على انحراف الحكام ... ولكن من المؤكد أن الثورة الناجحه لها شروط **أولها** أن تكون هناك قضية يثور من أجلها الشعب **ثانيا** : أن يقتنع أفراد الشعب **بحتمية الثورة** من أجل تحقيق تلك القضية ، **ثالثا** : ضرورة توفر القيادات أو الزعامات الناضجة ، **رابعاً** : أن تكون لتلك الزعامات رؤاها الفكرية والسياسية ... بحيث لا تكون **زعامات بلا فكر** ... ومع ذلك فأنا مع صوت العقل ... مع إنتقال السلطة بهدوء وبتعقل وبحرية من حزب إلى آخر من خلال الانتخابات الحزبية غير المقيدة ... وليس من خلال ما يسمى بالاستفتاءات .

مصطفى النحاس : معنى دلك أنه إذا ما شعرت الأحزاب الحاكمة ... أو بالأحرى إذا ما شعر الحزب الحاكم بعجزه عن مواجهة مشكلات المجتمع ... فعليه أن يسلم الأمر إلى الحزب الذى يليه .

أحمد لطفى السيد : هذا الأمر الذى يتحدث عنه النحاس لا يمكن أن يتحقق إلا إذا قامت المعارضة بدورها الفعال فى المجالس النيابية ... فإذا ما شعرت المعارضة بفشل الحزب الحاكم فى مواجهة قضايا المجتمع فعليها أن تعمل على سحب الثقة من الحزب الحاكم ... الأمر الذى يتطلب بالضرورة إجراء انتخابات جديدة ... وهنا يتولى السلطة الحزب المنتخب الذى قد يكون الحزب الحاكم القديم أو غيره من أحزاب الأقلية التى تصبح حينئذ أحزابا للأغلبية .

مكرم عبيد : المشكلة إذن فى الديمقراطية ... وفى توسيع نطاق الممارسة الديمقراطية ... والدور الكبير الذى يمكن أن تلعبه المعارضة

واصرارها على ضرورة ممارسة حقها فى مراقبة الحزب الحاكم وتوجيهه وسحب الثقة منه إذا ما استدعى الأمر ذلك . وهو أمر لن يتحقق إلا من خلال **معارضة قوية** ... ولا معارضة قوية بدون ديمقراطية حقيقية ، تتيح للأقلية فرصة الممارسة السياسية الحره ، وحتى لا تكون أمور السياسة والحكم حكراً على فئة أو حزب دون الآخر ... وحتى لا يتوارث أفراد هذه الفئة أو هذا الحزب الحكم جيلاً بعد جيل ... فيحرم المجتمع من نعمة وجود الفكر الآخر ... الذى قد يكون فيه الخلاص ... كل الخلاص .

« وهنا وقف السيد جمال الدين الأفغانى ليعلن أن هناك رسالة عاجلة قد أتته فى التو من الزعيم الشاب مصطفى كامل يعلن فيها رغبته فى حضور جانب من لقائنا هذا لأن لديه أمراً ــ كما يقول رسوله المبعوث إلينا ــ يود أن يعرضه علينا ... لا سيما وأن أخبار لقائنا وما توصلنا إليه من نتائج وما اقترحه بعضنا من اقتراحات وما قدمه الآخرون من تصورات ... كان على علم بها .... ويؤكد الأفغانى أنه لا يستبعد هذا عن مصطفى كامل وهو الشاب الطاهر ... المثالى الذى عشق ربه ... فأحبه ربه ... وعشق مصر ... فكان من أبرز شهدائها العاشقين ... ثم يستأذن الأفغانى الحضور فى أن يوجه دعوة باسمهم جميعا لكى يحضر مصطفى كامل يشهد الجانب ــ الذى يبدو وأنه الأخير ــ من اجتماعهم هذا ، جب المجتمعون بهذا ولا سيما وأنه رفيق لهم يكنون له كل احترام ندير وأنه المتسبب فى حضورهم للقاء السيد الأفغانى لأنه قام

باختيارهم من خلال فكرة القرعة التى اقترحها بعضهم ... فكان وجوده بينهم أمراً غير مستغرب ... بل على العكس كان أمراً محببا إليهم ... وخاصة وأن حضوره قد يحمل جديداً فى الفكر ... وطرحاً قد يكون غير وارد للحل .

ثم يبعث السيد جمال الدين الأفغانى برسوله إلى مصطفى كامل مؤكداً ترحيبهم بحضوره وسعادتهم بلقائه ... فلم تستغرق الفترة التى ذهب فيها رسول الأفغانى لدعوة مصطفى كامل وحضور الأخير طرفة عين ... فحضر مصطفى ... والعيون تحيطه من كل جانب ... بحب وبسعادة ... وهنا يتقدم مصطفى تسبقه هالة من النور محيياً الحضور قائلاً :

مصطفى كامل : السلام عليكم ورحمة الله .

الحضور (فى صوت واحد) : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته أهلاً بك .

الأفغانى : كم أسعددتنا رسالتك ورغبتك فى حضور هذا الجانب من لقائنا . فأهلاً بك .

مصطفى كامل : شكراً لكم ... ولعظيم ترحيبكم ... فأنا ما كنت بعيداً عنكم أبداً ... فمنذ أن ذهب زملائى وأساتذتى للقائك يا أستاذنا الجليل (موجهاً حديثه للأفغانى) بناء على نتيجة القرعة التى أجريناها ... وأنا أتابع بشغف وبانبهار كل ما يجرى فى لقائكم الساخن الحار ... الذى كشف عن حب عميق لمصر ... وعندما جاء آوان البحث عن المخرج لأزمة إنساننا مصر ... بدأت أشعر بأنه كان ينبغى

أن أكون معكم بصورة مباشرة إذ راودتنى مجموعة من الأفكار أود أن أعرضها عليكم ... أو هى فى الواقع فكرة واحدة تتضمن تصورات معينة ... أرى فيها بداية المخرج لأزمة الإنسان المصرى .

عبد الرحمن الجبرتى : هات ما عندك يا بنى ؟

مصطفى كامل : قبل أن أعرض تصورى للحل ... أود أولاً أن أؤكد على إقتناعى التام . **بحتمية الحل السياسى** ... الذى بلوره البعض فى اصطلاح **حتمية الحل الديمقراطى** ، ثانيا أن فكرة **المصالحة الوطنية فكرة طيبة** ... حيث تلتقى الأغلبية والمعارضة على هدف واحد وهو مصر ومصلحة مصر ... ومن هذا المنطلق أعرض عليكم إقتراحى ... وهو اقتراح ليس جديداً بالنسبة للفكر السياسى الديمقراطى ... وهو أيضا ليس جديداً بالنسبة للتاريخ السياسى للمجتمع المصرى ... وهذا الإقتراح مفاده دعوة إلى **تشكيل حكومة إئتلافيه** من الأحزاب المصرية القائمة ... بحيث تمثل فى هذه الحكومة جميع التيارات السياسية والفكرية سواء من **اليمين أو اليسار** ... ودلك شريطة أن تسقط الحكومة الراهنة كل القوانين التى قد يفهم منها أن هناك حجراً على حرية البعض فى ممارسة حقوقهم السياسية ... فالمصالحه الوطنية ومن ثم الحكومة الإئتلافية لا يمكن أن يتحققا وهناك **قيود** تكبل حرية البعض فى ممارسة دورهم الوطنى والسياسى بدعاوى إفساد الحياة السياسية ... أو العمالة لبعض الدول ... أو استغلال النفوذ ... أو هدم بعض القيم فكلها دعاوى ينبغى أن تسقط حتى يتاح للجميع الممارسة الحقيقية للسياسة والحكم ... وحتى يتاح لمصر أن تستفيد من كافة التيارات

الفكرية ... فعلينا إذن من خلال اقتراحى **المصالحة الوطنية والحكومة الائتلافية** ... أن ندعو تمهيداً لإخراج الإنسان المصرى من أزمته إلى أن يبدأ الجميع صفحة جديدة وبقلوب صافيه ... من أجل مصر ... ومن أجل خير مصر .

أحمد لطفى السيد : لا شك أن فكرة الحكومة الإئتلافية فكرة لها نفعها ولا سيما بالنسبة لظروف مصر الراهنة ... إلا أننا ينبغى أن نؤكد على أن فكرة الائتلاف الحاكم لا تعنى تقلصاً لدور المعارضة سواء فى البرلمان أو من خلال الصحافة ... فالمعارضة هى العيون التى ترى من خلالها السلطة أخطاءها ... كما أود أيضا أن أؤكد على أن الفكرة التى طرحها مصطفى كامل لا تتعارض على الإطلاق مع مجموعة **التوصيات** التى أشرنا إليها من قبل والخاصة بأسلوب انتخاب رئيس الدولة ورئيس الحكومة وممثلى البرلمان وحرية الصحافة ومدى الاهتمام بحرية الإنسان وحقه فى المعارضة والنقد ... إلى آخر تلك الوصايا التى أشرنا إليها عند مناقشتنا لأزمة الإنسان المصرى .

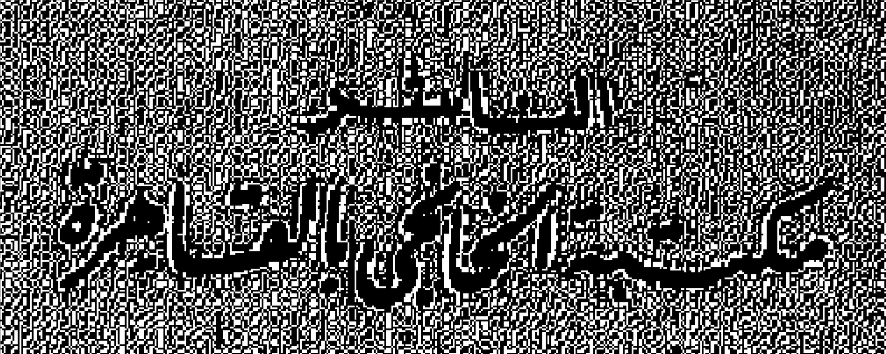
جمال الدين الأفغانى : أعتقد أن الاقتراح الذى عرضه علينا مصطفى كامل والذى أكد بلا شك تصوراتنا السابقة ، والكلمة التى قالها لطفى السيد تدعيما لرؤية مصطفى كامل ورؤيتنا ... لا يعنى أنها الكلمة الأخيرة ... فنحن ما اجتمعنا إلا من أجل مصر ... ولخير مصر ولمستقبل مصر ... فلذلك فأنا لا أعتبر اجتماعنا هذا هو الاجتماع الأخير ... بل هو بداية لسلسلة من اجتماعات سوف تعقد تباعاً ... لذلك أرجو ــــ بعد أن تحول صراعكم إلى **وفاق** ــــ أن يكون مؤتمرنا

هذا فى **شبه إنعقاد دائم** ... وأن نكون دائما على صلة بعضنا بالبعص الآخر ... بحيث لا ينقطع الحوار بيننا ... واقترح فى هذا أن نقسم أنفسنا إلى جماعات ... لتلقى القادمين الجدد من مصر ... لنتعرف أولا بأول عما وصل إليه الحال فيها ... وأنا لا أشك فى **أن المخرج قريب** ... وكيف لا ومصر **لم تعدم رجالها بعد** .

البداية





الناشر
مكتبة الخانجي بالقاهرة